الفصل الرابع

أسباب العنوسة عند الفتيات

١ ـ الاستلاب الحضاري

٢ ـ الاغترار بالجمال والمال والعلم

٣ ـ الفقر

٤ ـ السحر والمس

٥ ـ الوقوع في المخالفات الشرعية ككثرة الدخول والخروج والتبرج ونحوه

٦ ـ زواج الفتيان من نساء أجنبيات

٧ ـ التشاؤم ببعض النساء

٨ ـ القوة والبأس والشدة

٩ ـ فسخ خطوبة الفتاة

١٠ ـ طبيعة عمل المرأة

١١ ـ اتصاف المرأة بصفات تعلم أنها لا تمكنها من الزواج

١٢ ـ الاعتداء على الفتاة في الصغر

obeikandl.com

الفصل الرابع

أسباب العنوسة عند الفتيات

١ ـ الاستلاب الحضاري

التأثر بالتيارات الغربية في العادات والتقاليد كعدم الموافقة على الخطبة إلا بعد التعرف على أخلاق الخاطب وغيره مما وفد إلى بلاد المسلمين من سيئ العادات، وقبيح المعتقدات، ففي بعض البلدان من بلاد المسلمين أن المرأة لا توافق على شخص ما إلا بعد الجلوس والدخول والخروج معه بغية التعرف عليه واستمرار هذه العلاقة فترة من الزمن ثم تعلن الخطوبة أو تفض العلاقة بزعم أنهما لم يتوافقا، ومن ثم يتم الزواج إذا أتت هذه اللقاءات أكلها ويكون ذلك بعد إعلان الخطوبة بفترة زمنية قد تطول وتقصر حسب ظروف المخطوبين.

وهذا الأمر مع ما فيه من محاذير شرعية فإنه قد يجعل كلا المتعارفين أو أحدهما يكذب على الآخر ويمثل ويجيد التمثيل بتقمصه شخصية خلاف شخصيته ولا يخرج صورته الحقيقية، خوفا من فشل هذه التجربة وعدم تكللها بالنجاح أو طمعا في النيل منه، كما أن هذه الخلوات تفضي إلى محذورات شرعية كثيرة كالمصافحة وغللة النظر واللمس والجس والغمز والقبل وقد تفضي إلى الزنا، فالرجال منهم ذئاب ماكرون خداعون، والنساء ضعيفات غريرات والعنوسة مستشرية ضاربة الأطناب، فيمكن لهذا الرجل أن يخدع هذه الفتاة ويكذب عليها بأن مصيرهما الزواج والارتباط الأبدي وينال منها ويهتك عرضها ومن ثم تسقط في نظره[1] فيهرب منها تاركا لها ذاهبا إلى نعجة أخرى ليغرر بها لافتراسها والتغرير بها فما أكثر النعاج وما أمكر الذئاب وأعقها.

---

[1] قال ابن حزم: الزانية أول ما تسقط ، تسقط في نظر من زنى بها.

وكان السابقون يتحينون الفرص للنظر لمن يودون خطبتها من النساء فعَنْ ابْنِ أَبِي زَائِدَةَ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ قَالَ رَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ يُطَارِدُ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ يُرِيدُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا قَالَ ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ بُثَيْنَةَ ابْنَةَ الضَّحَّاكِ[1] يُرِيدُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا فَقُلْتُ أَنْتَ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفْعَلُ هَذَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا أَلْقَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَلْبِ امْرِئٍ خِطْبَةَ امْرَأَةٍ فَلَا بَأْسَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا.[2]

كما أنهم كانوا يتخيرون للنظر لمن يودون خطبتها من النساء فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمْ الْمَرْأَةَ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَلْ قَالَ فَخَطَبْتُ جَارِيَةً فَكُنْتُ أَتَخَبَّأُ لَهَا حَتَّى رَأَيْتُ مِنْهَا مَا دَعَانِي إِلَى نِكَاحِهَا وَتَزَوَّجْتُهَا فَتَزَوَّجْتُهَا.[3]

وكانوا يستأذنون أهل من يريدون الزواج منهن في النظر إليهن، فعن المغيرة بن شعبة قال: خطبت جارية من الأنصار فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال لي

---

[1] هي بثينة بنت الضحاك بن خليفة الأنصارية الأشهلية أخت أبي جبيرة ولدت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.(الإصابة، ترجمة رقم: ١٠٩٦٥)

[2] رواه الإمام أحمد في المسند ج٣ص٤٩٣،وصححه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٩٨

[3] صحيح سنن أبي داود كتاب النكاح باب : في الرجل ينظر إلى المرأة وهو يريد تزويجها حديث رقم : ١٨٣٢

رأيتها؟ فقلت: لا، قال: فانظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما،[١] فأتيتها فذكرت ذلك لوالديها، فنظر أحدهما إلى صاحبه، فقمت فخرجت، فقالت الجارية علي الرجل، فرجعت فوقفت ناحية خدرها، فقالت: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك أن تنظر إلي فانظر، وإلا فإني أحرج عليك أن تنظر، فنظرت إليها فتزوجتها، فما تزوجت امرأة قط كانت أحب إلي منها ولا أكرم علي منها، وقد تزوجت سبعين امرأة.[٢]

وليس المقصود أن تقع المرأة في شريك حياة لا تعرف عنه شيئا، وتتزوج به من غير معرفة سابقة له، فيمكنها أن تسأل عنه وتستفسر وتجمع المعلومات الكاملة عنه كما يمكن للرجل أن يرسل أخواته وأمه وخالاته لمعرفة جمال وقوام وتقاطيع جسم من يريد خطبتها بالنظر إلى ساقيها وعراقيب رجليها ولمعرفة طيب ريحها بشم أعطافها، ولمعرفة طيب فمها بشم عوارضها كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم ، فعَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَ أُمَّ سُلَيْمٍ تَنْظُرُ إِلَى جَارِيَةٍ فَقَالَ شُمِّي عَوَارِضَهَا[٣] وَانْظُرِي إِلَى [١]عُرْقُوبِهَا.[٢]

---

[١] قال الكسائي: يُؤدَم بينكما يعني أن تكون بينهما المحبّة والاتّفاق؛ قال أبو عبيد: لا أرى الأصل فيه إلا من أَدْمِ الطعام لأن صَلاحَه وطِيبَه إنما يكون بالإدامِ، ولذلك يقال طعام مَأْدُومٌ. [لسان العرب، مادة : أدم]

[٢] مسند الإمام أحمد، مسند المغيرة بن شعبة، حديث رقم: ١٧٤٣٥/كنز العمال، حديث رقم: ٤٥٦١٩

[٣] العَوارِضُ: الثّنايا سُميت عَوارِضَ لأنها في عُرْضِ الفَم. وفي الحديث: أن النبي، صلّى اللّه عليه وسلّم، بَعَثَ أُمَّ سُلَيْمٍ لتنظر إلى امرأة فقال: شَمِّي عَوارِضَها، قال شمر: هي الأَسنان التي في عُرْضِ الفم وهي ما بين الثنايا والأَضراس، واحدها عارضٌ، أَمَرَها بذلك لتَبُورَ به نَكْهَتَها وريح فَمِها أَطَيِّبٌ أَم خبيث. وامرأَة نقِيَّةُ العَوارِض أي نقِيَّةُ عُرْضِ الفم.[لسان العرب مادة : عرض]

كما أننا يجب أن نعلم أن الحب يبنى بعد الزواج وليس قبله، وأن انتفاءه ليس عائقا في استمرار الحياة الزوجية.[٣]

٢ ـ الاغترار بالجمال والمال[٤] والعلم:

قد تكون البنت على مسحة من ملاحة وعلى درجة من الجمال والصباحة في وجهها والوسامة في شكلها والقسامة في جسمها فبدلا من شكر هذه النعمة يصيبها الغرور والكبر على لداتها اللاتي أقل منها جمالا فتحاول إظهار هذا الجمال وإبراز تلك المحاسن، مستفهمة: هل هي على درجة عالية مما توصف به أم أن المتهالكين عليها من الخطّاب مبالغون في وصفها. كما صور ذلك عمرَ بن أبي ربيعة عاكسا قول امرأة تخاطب صديقاتها في قولهن في رأي واصفيها وتستفسر منهن هل هم محقون في ذلك أم مبالغون في قولهم فقال:

أكما ينعتنني تبصرنني عمركن الله أم لا يقتصد[٥]

كما أنها مع هذا الجمال قد أحرزت أعلى الدرجات ونالت أرفع الشهادات فمن مثلها، فهي جميلة ومتعلمة.

---

[١] العرقوب: عصب موثق خلف الكعبين والجمع عراقيب مثل عصفور وعصافير.

[٢] مسند الإمام أحمد، مسند أنس بن مالك، حديث رقم : ١٢٩٤٣ / كنز العمال، حديث رقم: ٤٤٥٧٥/ مجمع الزوائد، حديث رقم: ٧١٧٥

[٣] انظر الخلافات بين الزوجين ص

[٤] قال ابن الأثير : المال سمي بذلك لكونه مائلا أبدا وزائلا، ولذلك سمي عرضا، وعلى هذا دل قول من قال: المال قحبة تكون يوما في بيت عطار، ويوما في بيت بيطار. [النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة: ميل]

[٥] الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد ج ٢ ص ١٦٥

ومن ثم تتعامل الفتاة مع الخطاب بهذا المفهوم فترفض من تشاء منهم بل قد تسيء إلى بعضهم ولا ترده ردا جميلا ولتعلم البنت أن طول الزمن له تأثير عظيم على الجمال، فيمكن للجمال أن تبقى بقايا منه، كما أن المرض يؤثر فيه فيزوى الجمال، وتذبل النضارة وتذهب الغضارة، وتجد المرأة نفسها أمام واقعها حين يكون أبوها قد مات كما أنها ليست هي الجميلة الوحيدة بين بنات حواء فالجميلات كثيرات ومستعدات لأن يتزوجن بمن رفضته بلا تردد.

إذا كان والد الفتاة على درجة من الغنى[1] والمكانة المرموقة، فإن هذا غالبا يؤثر في تعاملها مع الآخرين فتتعالى وتتكبر عليهم، فالفتيات ذوات الأسر الغنية غالبا الواحدة منهن قد يؤثر غنى والديها في أمر زواجها فقد ترفض كفيا لا ذنب له إلا فقره وغناها. وترد خاطبا لا جرم له إلا أنه أقل من مستواها.

ومن الأمثلة لرد رجل لا لشيء إلا أنه فقير، وأن المخطوبة تأمل في متقدم أكثر غنى : حَيَّةَ بن خلف الطائي وكان قد تقدم لامرأة من بني شمخى بن جرم يقال لها أسماءُ، فقالت: ما لحَيَّة مال فقال مجاوباً لها:

---

[1] قال ابنُ هشام: حَفَرَ السَّيْلُ عن قَبرٍ باليَمنِ، فيه امرأةٌ في عُنُقها سَبْعُ مَخانِقَ من دُرٍّ، وفي يَدَيْها ورِجْلَيْها من الأَسْوِرَةِ والخَلاخيلِ والدَّماليجِ سَبْعَةٌ سَبْعَةٌ، وفي كُلِّ إِصْبَعٍ خاتَمٌ فيه جَوْهَرَةٌ مُثْمِنَةٌ، وعِنْد رَأْسِها تابوتٌ مَمْلُوءٌ مالاً، ولَوْحٌ فيه مَكْتُوبٌ: باسْمِكَ اللَّهُمَّ اله حِمْيَرَ، أنا تاجَةُ بنتُ ذي شُفْرٍ. بَعَثْتُ مائرَانَا إلى يُوسُفَ، فأَبْطَأَ عَلينَا، فَبَعَثْتُ لاذَتِي بِمُدٍّ من وَرِقٍ لتَأتيني بِمُدٍّ من طَحينٍ، فَلَمْ تَجِدْهُ، فَبَعَثْتُ بِمُدٍّ من ذَهَبٍ، فلم تَجِدْهُ، فَبَعَثْتُ بِمُدٍّ من بَحْرِيٍّ، فلم تَجِدْه، فَأَمَرْتُ به، فَطُحِنَ، فلم أنْتَفِعْ بِه، فاقْتَفِلْتُ، فمن سَمِعَ بي، فَلْيَرْحَمْني، وأَيُّةُ امرأةٍ لَبِسَتْ حَلْياً من حُلِيِّي، فلا ماتَتْ إلا مِيتَتِي. [القاموس المحيط للفيروز آبادي باب الراء. فَصْلُ الشِّين]

تقول أسماء لما جئت خاطبها ... يا حيُّ ما أربي إلاَّ لذي مالِ
أسماءُ لا تفعليها ربّ ذي إبل ... يغشى الفواحش لا عفّ ولا نال
الفقر يزري بأقوام ذوي حسب ... وقد يسوّد غيرَ السيد المالُ
والمال يغشى أناساً لا طَبَاخ لهم ... كالسيل يغشى أصول الدَّندِن البالي
أصون عرضي بمالي لا أدنسه ... لا بارك الله بعد العرض في المال
أحتال للمال إن أودى فأكسبه ... ولست للعرض إن أودى بمحتال[1]

فعلى البنت أن تستفيد مما تعلمته ولا يكون وبالا عليها ونكالا يحل بشخصها، وعلى والديها وممن حولها نصحها أو اعتبارها سفيهة يؤخذ على يديها.

٣ـ الفقر:

كان الفقر والغنى يؤثران تأثيرا بالغا في تزويج الفتاة في الجاهلية وصدرا من الإسلام، فعَنْ جَابِرٍ قَالَ جَاءَتْ امْرَأَةُ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِابْنَتَيْهَا مِنْ سَعْدٍ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَاتَانِ ابْنَتَا سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ قُتِلَ أَبُوهُمَا مَعَكَ فِي أُحُدٍ شَهِيدًا وَإِنَّ عَمَّهُمَا أَخَذَ مَالَهُمَا فَلَمْ يَدَعْ لَهُمَا مَالًا وَلَا يُنْكَحَانِ إِلَّا وَلَهُمَا مَالٌ قَالَ فَقَالَ يَقْضِي اللَّهُ فِي ذَلِكَ قَالَ فَنَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَمِّهِمَا فَقَالَ أَعْطِ ابْنَتَيْ سَعْدٍ الثُّلُثَيْنِ وَأُمَّهُمَا الثُّمُنَ وَمَا بَقِيَ فَهُوَ لَكَ.[2]

---

[1] لسان العرب لابن منظر، مادة: طبخ

[2] سنن الترمذي، كتاب الفرائض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب : ما جاء في ميراث البنات، حديث رقم: ٢٠١٨

قال تعالى ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ﴾[1]

وقال هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ: أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ إِلَى قَوْلِهِ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ قَالَتْ عَائِشَةُ هُوَ الرَّجُلُ تَكُونُ عِنْدَهُ الْيَتِيمَةُ هُوَ وَلِيُّهَا وَوَارِثُهَا فَأَشْرَكَتْهُ فِي مَالِهِ حَتَّى فِي الْعَذْقِ فَيَرْغَبُ أَنْ يَنْكِحَهَا وَيَكْرَهُ أَنْ يُزَوِّجَهَا رَجُلًا فَيَشْرَكُهُ فِي مَالِهِ بِمَا شَرِكَتْهُ فَيَعْضُلُهَا فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.[2]

ولكن الملاحظ الآن أن الرجل الباحث عن الزواج غالبا لا يجد في زوجته الغنى المفرط الذي يجعلها فوقه مكانة ومنزلة، حتى تستمر حياتهما ولا يؤثر غناها وفقره في قوامته عليها، ولكنه لا يريدها فقيرة فقرا مدقعا، يشينه هذه الفقر ويقض مضجعه ويزري به ولكنه يكفيه من غناها أن يتزيد به بين أقرانه وأصدقائه معارفه بأنه متزوج من ابنة فلان الثري صاحب الأملاك والعقارات رغم أنه قد لا تطيب نفسه بأخذ شيء مما تملك أو مما يملك والدها وذووها وذلك لخوفه من تسلطها وتنمرها وامتنانها عليه، لأن المرأة

---

[1] سورة النساء آية ١٢٧

[2] صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله تعالى ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ﴾حديث رقم: ٤٢٣٤

التي تنفق عليها من مالك إذا غضبت عليك تقول لك: ما رأيت منك خيرا قط، كما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: [1] فماذا تقول لك: التي تنفق عليك؟ فلا شك أنها ستهين زوجها إن لم تشتمه أو تطرده عن بيتها وتأخذ منه كل ما أعطته عند حدوث خلاف بينهما.

وتختلف طبائع الشعوب وعاداتها فبعضها من عاداتها أن المرأة هي التي تجهز البيت وتقوم به وعلى الرجل دفع المهر الذي قد يفي بمتطلبات تجهيز البيت وقد يقصر عنها فالفتيات الغنيات لا يجدن مشكلة في إتمام هذا النقص أما الفقيرات فيقف فقرهن حائلا بينهن وبين ذلك.

ولكن كثيرا من الرجال يفضلون أن تكون زوجاتهم من أسر متوسطة الحال، مستورة الشأن، يكون هو أكثر منها غنى ومنزلة وأعظم جاها، تنظر إلى ما في يده ولا ينظر إلى ما في يدها، حتى تسلس له قيادها، وتتركز له عليها قوامته.

وقد تتغير بعض النساء لزوجها بعد تغير حاله وفقره، كما قيل لابن سيابة: قد كرهت امرأتك شيبك، فمالت عنك إلى آخر، فقال: إنما مالت إلى الآخر لقلة المال، والله لو كنت في سن نوح، وشيبة إبليس، وخلقة منكر ونكير، ومعي مال، لكنت أحب الناس إليها من فقير في جمال يوسف، وخلق داود، وسن عيسى، وجود هاشم، وحلم أحنف بن قيس.[2]

---

[1] انظر ص من هذا الكتاب.

[2] محاضرات الأدباء مجلد ٢ ج ٣ ص ٢٠٨

٤ـ السحر والمس:

تختلف طبائع البشر وأخلاقهم كما تختلف ألوانهم وسحناتهم فبعضهم إذا تقدم لبنت ولم توافق عليه أو رفضه أهلها فإن الأمر يكاد أن يكون عنده عاديا إلا شعورا يشعر به كل من أخفق في مهمة ولم يوفق فيها فهذا يستوي فيه كل الناس ولا يكاد ينجو منه أحد فيغضب لساعات ويتمعر وجهه لحظات ثم يكون اعتياديا ويتقبل الواقع بكل سرور وارتياح بل يحمد الله الذي أراه حقيقة هؤلاء الناس من قبل أن يرتبط بهم بزواج وأولاد وتنجم مشاكل بعد ذلك لا يعلم مداها إلا الله تعالى فيتقبل أمر رفضها له ويتمنى لها حياة زوجية سعيدة مع زوجها القادم وقد يكون في قرارة نفسه يرى أنها قد فرطت فيه تفريطا ستندم عليه لأنها لن تجد مثله.

ـ بينما توجد مجموعة أخرى من البشر تتمنى لهذه المرأة موتا عاجلا وسما زعافا فهي إما أن تكون له أو لا. قال حفص العليمي:

فيا رب إن لم تقضها لي فلا تدع قذور لهم واقبض قذور كما هيا[1]

ويا ليت إن الله إن لم ألاقها قضى بين كل اثنين ألا تلاقيا[2]

ـ أو يتمنى لها الذي تقدم للخطبتها الإخفاق في زواجها هذا إن تزوجت وأن ترزق زوجا يذيقها الذل والهوان ويغاديها بالضرب الموجع ويرواوحها بالشتم المقذع قال ابن أخي زرّ بن حبيش الفقيه القارئ وكان قد خطب امرأة من أقاربه فردته فقال:

فإمّا نَكَحْتِ فلا بالرِّفاء إذا ما نَكَحْتِ ولا بالبَنِينا

---

(١) قال الشماخ بن ضرار التغلبي [البيان والتبيين ج ١ ص ١٥١]:

يقر بعيني أن أنبأ أنها وإن لم أنلها أيم لم تزوج

(٢) شرح ديوان حماسة أبي تمام ج٢ص٨٥١ـ٨٥٢

وزُوِّجْتِ أَشْمَطَ في غُرْبة تُجَنُّ الحَلِيلَة منه جُنونا
خَليلَ إماءٍ يُراوِحْنَهُ وللمُحْصَناتِ ضَرُوباً مُهينا
إذا ما نُقِلْتِ إلى دارِهِ أَعَدَّ لظهرِكِ سوطاً مَتِينا[1]

ـ شعور الخاطب بالمرارة والحسرة التي تدفعه إلى القيام بهجاء التي تقدم لخطبتها وشتمها وانتقاصها قالبا كل الصفات التي رغبته في زواجه منها من جمال وصغر ومال وكرم أصل إلى سيئات ومثالب ويزيد من عنده مضيفا ما جادت به قريحته من إلصاق صفات السوء والخزي بها ومن ذلك كان أعرابي من بني عامر قد خطب امرأة منهم كانت قد تزوجت قبله وكان لها مال فلم تتزوجه وردته فقال:

أترجو العامرية زوج صدق وقد زادت على مائة سنوها
يطفطف ما يريد الزوج منها وأنتن من طول العمر فوها
ونقّل رحلها في كل حي وجربت الرجال وجربوها
فما وجدت مناسبها كراما ولاهم عند خلوتها رضوها
ولا هي بالولود لمن آتاها ولو ولدت لشين بها بنوها
وفيها لابنها خزي طويل كما قد كان أخزاها أبوها[2]

ـ أو قد يقوم الخاطب بقتل هذه المرأة حتى لا يظفر بها غيره، فعن عطاء بن يسار عن بن عباس أنه أتاه رجل فقال: إني خطبت امرأة فأبت أن تنكحني وخطبها غيري فأحبت أن تنكحه فغرت عليها فقتلتها فهل لي من توبة قال: أمك؟ حية قال: لا. قال:

---

[1] لسان العرب، مادة: حرم.

[2] الأشباه والنظائر، ج ١ ص ٩٤

تب إلى الله وتقرب إليه ما استطعت فذهبت فسألت بن عباس: لم سألته عن حياة أمه! فقال: إني لا أعلم عملا أقرب من بر الوالدة.[١]

وقد يتقدم شاب لفتاة وكله أمل في أن توافق عليه، ولكنها ترفضه أو يرفض أهلها ويتعثر الزواج ولا يتم ولا يكتمل فيحقد هذا الشاب على تلك الفتاة وأهلها وأسرتها فيريد الانتقام منهم ويستحكم هذا الرأي عليه فيريد أن يغالهم بالسوء وينالهم بكل شر فيذهب إلى أحد السحرة الفجرة المكرة ويطلب منه أن يكتب له كتابا وأن يعمل له عملا يسحر به هذه الفتاة ويطلب الساحر منه أن يحضر له شيئا من الأشياء التي تخص هذه الفتاة كخصلة من شعرها أو قطعة من ثيابها أو نحوه فينفث فيها عقده ويصادفها سحره عزلاء لا سلاح لها من تحرز وتحصن من الشياطين والسحرة كقراءة المعوذات التي تحفظ الإنسان وتصونه،[٢] وقراءة آية الكرسي التي لا يقرب قارئها شيطان[٣] وقراءة سورة البقرة التي أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ والْبَطَلَةُ السَّحَرَةُ.[٤]

ويزيد من تمكن السحر واستحواذه على الفتاة عدم معرفتها ومعرفة أهلها بأنه سحر ومس، ومن ثم فلا يفكران في علاجه بالقرآن الكريم والرقى الشرعية بل قد يكونا من عقلاني هذه الأمة وعصرانيها الذين ينكرون هذه الأشياء ويعتبرونها نوعا من أنواع

---

(١) الأدب المفرد ج ١ ص ١٥، باب بر الأم، حديث رقم: ٤

(٢) انظر: سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب: في المعوذتين، حديث رقم: ١٢٥١

(٣) انظر: صحيح البخاري: كتاب الوكالة، بَاب إِذَا وَكَّلَ رَجُلًا فَتَرَكَ الْوَكِيلُ شَيْئًا فَأَجَازَهُ الْمُوَكِّلُ فَهُوَ جَائِزٌ وَإِنْ أَقْرَضَهُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى جَازَ.

(٤) انظر: صحيح مسلم: كتاب، صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، حديث رقم: ١٣٣٧

الدجل والشعوذة والمنكرات التي يجب تجاوزها وعدم الانتباه لها بل يجب محاربتها أو قد يكونا من المخرفين أرباب العقائد الفاسدة فيحلان هذا السحر بالذهاب إلى من يسموهم بالأولياء والصالحين أو يذهبون إلى سحرة ومشعوذين فيحلان لهم هذا السحر بسحر مثله مما يزيد ابنتهم رهقا وعناء وشقاء وعنتا.

ومن ثم يعمل هذا السحر في هذه الفتاة عمله فتذبل نضرتها ويضعف جسمها ويسود لونها فتكره الخطاب وتوافق على أحدهم ساعة قدومه ولكنها تنقلب رأسا على عقب بعد انصرافه مباشرة فترفضه بشدة زاعمة أنه قد أتاها في صورة قبيحة ويكون الشيطان قد أتاها في صورة قبيحة لهذا الخاطب.

أو تكره زوجها إن كانت قد تزوجت قال الله تعالى ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾[1] وتعلم السحر والعمل به كفر، قال الله تعالى ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾[2]

---

[1] سورة البقرة آية ١٠٢

[2] سورة البقرة آية ١٠٢

٥ـ الوقوع في المخالفات الشرعية ككثرة الدخول والخروج والتبرج ونحوه:

المخالفات الشرعية والمعاصي لها عواقب وخيمة على صاحبها في الدنيا قبل الآخرة، فهي تؤثر في دين المرء كما تؤثر في دنياه ولا نريد أن نتناول هنا فاحشة الزنا ـــ أعاذنا الله من ذلك ـــ لأن الفاجرة لا يتزوجها إلا فاجر مثلها، أما صاحبة المخالفات التي دون الفواحش ككثيرة الخروج من البيت الكثيرة الدخول في بيوت الآخرين الكثيرة التجوال في الأسواق والطرقات الكثيرة الكلام مع الرجال المتبرجة التي تعرض زينتها أمام الرجال والتي تمهش وجهها بالموسى ونحوها[١] وتضع الأصباغ على شفتيها وصدغيها والكريمات على وجهها وتتعطر بأكثر أنواع العطور فوحا المتزينة عند خروجها ولسان حالها يقول:

إنني فتاة ببذل الود سامحة ... أجيب من رامني يوما بلبيك

فهذه وإن كان الفتيان يودون منها أن تجود عليهم بنظرة وأن تتكرم عليهم بكلمة وأن تنفحهم بما فوق ذلك من توابع سلم العلاقات الذي لخصه شوقي قائلا:

نظرة فابتسامة فسلام ... فكلام فموعد فلقاء

وتكون نتيجة هذا اللقاء كما قال ابن المعتز:

فكان ما كان ممن لست أذكره ... فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر[٢]

---

[١] مهش: المُمْتَهِشةُ من النساء: التي تَحْلِقُ وجْهَها بالمُوسَى. وفي الحديث:أنه، صلى اللّه عليه وسلم، لَعَنَ من النِّساءِ المُمْتَهِشَة. وقال القتيبي: لا أعرف الحديث إلا أن تكون الهاء مبدلة من الحاء. يقال: مرّ بي جملٌ فمحشني، إذا حاكّه فسَحَج جلدَه. وقال غيره: مَحشَتْه النارُ، ومهَشَتْه، إذا أحرقته.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {مهش}/ لسان العرب، مادة: مهش / القاموس المحيط، باب الشين. فَصْلُ الميمْ.]

[٢] معجم البلدان لياقوت الحموي ج ٢ ص ٥٢٢

فالشباب ينتظرون مجيئها ويترصدونها على الطريق الذي تمر به، ويرونها أنها معشوقة لهم بإظهار الوله والتتيم والشغف بها وأنهم يسهرون الليالي الطوال في تذكرها وأنهم لا غنى لهم عنها وأنهم وأنهم، ولكنهم في المحك الحقيقي، عندما يفكر أحدهم في إحصان نفسه وإعفافها واختيار شريكة حياته وأم أولاده، فإنه لا يفكر في هذه التي كان يتكلم معها ويهاتفها ويراسلها وكان يطمع منها في أكبر من ذلك، من تمكينه من نفسها وكان يعدها بالزواج ويمنيها وما يعدها إلا غرورا، بل يذهب إلى فتاة مخدرة مقصورة محصورة في بيت أبويها صغيرة غريرة، لم تر رجلا ولم يرها رجل فيقترن بها تاركا هذه البلهاء لماكر آخر ومخادع حصيف لبق بصير بملاينة النساء وترويض عسرهن.

فيا أختاه اتقي الله في نفسك واعلمي: أن الوقوع في المخالفات الشرعية ككثرة الدخول والخروج والاختلاط والتبرج ونحوه يزهد الرجال فيك فالرجال حتى الفاجر منهم ومع كثرة تنقلاته بين الخليلات والخدينات والعشيقات يرغب في المرأة قعيدة البيت، وهو دائما يزهد في المرأة غير الملتزمة رغم عدم التزامه هو، والزانية تسقط أولا في عين من زنى بها، لأن الرجل يريد امرأة خفرة حيية لم تفضح أهلها ولم تأهم بشنار.

والأمثلة على زهد رجال تنمروا لفتيات خرجن معهم كثيرة، فبعضهن لا زلن يعتصرن مرارة الألم وخزي الأبد وبعضهن أفلتن من هذه الذئاب بجريعة[1]

---

(١) عن عطاء بن يَسار قال : قلْت للوليد بن عبد الملك قال عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه : وَددْتُ أنّي سَلِمْتُ من الخلافة كَفافا لا عليَّ ولا لِيَ . فقال: كذبت ، الخَليفة يقول هذا ؟ فقلت : كُذّبت ؟ قال : فأَفْلَتُّ منه بِجُرَيْعَة الذّقَن.[غريب الحديث لابن قتيبة ج ٢ ص ٦٢]

الذقن،[١] ونجتزئ من القصص بالآتي[٢]:

ـــ أنا فتاة في التاسعة عشرة من العمر، متوسطة الجمال، تعرفت إلى شاب يكبرني بعشر سنوات كان خلوقا وعلى قدر كبير من الوسامة استمرت علاقتي به سنتين، وكان يؤكد لي دائما أنه يرغب في الزواج مني، وأنه سيتقدم إلى أهلي ويطلب يدي منهم وفي هذه الفترة، كنت أخرج معه، وكان يتصرف معي بدرجة عالية من التهذيب ، الأمر الذي جعلني أطمئن إليه، وأزداد تعلقا به يوما بعد الآخر، ولكنني فوجئت به في المرة الأخيرة يتحول إلى ذئب حقيقي ويزرع مخالبه المدنسة في لحمي، ويسلبني عفافي وطهري ولم يكتف بما فعل، بل راح يهددني بالفضيحة إذا لم أوافق على الخروج معه. إنني في حيرة وخوف شديدين ماذا أفعل؟ هل أخبر أهلي؟ أم ألزم الصمت.

ـــ المشكلة بدأت قبل سنة عندما سافرت إلى بلدي، حيث تعرفت إلى شاب قريب لي. المهم بعدما تعرفت إليه طلبني للزواج، وقال إنه يريدني زوجة. لكن الذي حدث أنه بعد فترة عرفته على حقيقته، وماذا يضمر لي. لكن كل هذا جرى بعد أن دخل قلبي. المهم، في اليوم المشؤوم ذهبنا في رحلة مدرسية إلى البر لتغيير جو المدرسة، لكنه انتهز فرصة بعد التلاميذ عني وأخذ أغلى شيء عندي، وذهب وكأنه لم يفعل شيئا.

---

(١) عن الأصمعي قال هذا مثل يقال : " أَفْلَت فُلان بجُرَيْعَة الذَّقَن". يراد أن نَفْسه صارَتْ في فيه ، قال أبو حاتم وقال أبو زيد يقال : أفلتني فلان جُرَيْعَة الذَّقَن ، إذا كان قريباً منه كجُرعة الذَّقَن.

والجُرَيْعَةُ تَصْغِير الْجُرْعَة، وهو آخر ما يَخْرُج من النَّفْس عند الموت، يعني أفلتُّ على الهلاك، أي أنه كان قَرِيباً من الهلاك كقُرْب الجُرْعة من الذَّقَن.[النهاية في غريب الحديث والأثر. لابن الأثير، مادة: {جرع}]

(٢) هذه القصص مأخوذة من موقع [Free Web site hosting - Freeservers.com]

حتى الأستاذ سألني ما بك؟ فلم أستطع الكلام بسبب ما أحدثه لي ذلك الفعل من صدمة عنيفة.

المهم الآن، عدت إلى موطني وأصبحت مريضة نفسيا، أحاول مساعدة نفسي، لكني لا أستطيع، لأنه لا يوجد من يعلم بما حدث. وتظن أمي أني مريضة و لا أريد جرحها.

أمي الثانية فاطمة (الأخصائية النفسية)، رجاء ما هي نصيحتك لي، فأنا متعبة نفسيا وأصبحت منعزلة عن الجميع؟

ـ أنا فتاة أبلغ .من العمر ٢٠ عاما، ماكثة في البيت بعد فشلي في (الدراسة)، وأتقنت العمل في البيت، حلمت بالزوج الذي يملأ على حياتي، لكن كل علاقة أدخل فيها مع شاب تبوء بالفشل، لأنهم كانوا يطلبون مني الثمن، و رأيت أن الرجولة ماتت وحلت محلها (ذئاب بشرية) كانوا عشاق جسد ومتع، والحمد لله الذي نجاني منهم، لكن واحدا منهم أراد أن ينصب شباكه حولي، عندما أتى بأمه إلى بيتنا ليؤكد لي مدى صدقة وحسن نيته، فصدقته، وبعد زيارة أمه بحوالي ٦ أشهر أخبرني في الهاتف أنه يريد رؤيتي لكي يتمم مراسم الخطوبة بشكل رسمي، فذهبت إليه، وعاملني بأدب لكنه سرعان ما تحول إلى إنسان آخر يريد مداعبتي، ولكنني استطعت أن أنجو منه وحزنت كثيرا وعاتبت نفسي، وعندما طالبته بأن نتزوج قال (بكل وقاحة) إنه لم يتذوق مني ما يشتهيه!! وقال بأنني فاتنة ويجب أن يعيش الحب معي، وقال كلاما معسولا كي يرمي بشباكه حولي، لكن الله كان يحميني فلست أنا من تعيش الحب الزائف في الحرام وتترك جسدها للعبث وفجأة علمت أنه خطب فتاة أخرى فاتصلت به فأخبرني أنه ذاق منها ما دعاه لخطبتها! عندها قررت أن أنساه، وأبكي على ما فات من حياتي وأحسست بأن الله نجاني، فالتجأت إليه راجية أن يتقبل توبتي.

ـ أنا فتاة عمري ١٧ عاما، منذ سنة كنت أسير في الطريق فقابلت شابا، وبعد محاولات مستمرة منه تكلمت معه، وبدأنا نلتقي، وكنت خجولة، لكن زال هذا الخجل بعد فترة، و أصبح هذا الشاب جزءا من حياتي، يعيش في عروقي، وصار يطلب مني القبلات، فخشيت أن أخسره، ونفذت ما يريده، وكنت أشعر بأنني غير راضية عن تصرفي، لكنني أدمنت لقاءه و.. و.. وكان يؤكد لي أنه لن يتركني أبدا وبعد ذلك صار يفاتحني في الانفصال إن أردت أنا! وتوقفت عن لقائه؛ لأنه أهانني وطعن كرامتي. وانتظرت أن يأتي لمقابلتي والاعتذار لي، ولكن خاب ظني.

٦ ـ زواج الفتيان من نساء أجنبيات: [١]

البعد في اختيار الزوجة والنأي بها من أن تكون من الأهل والأقارب مما يزيد الأبناء قوة وشدة بأس ويعطيهم منعة قال النابغة الذبياني:

فَتىً لَمْ تَلِدهُ بِنْتُ عَمٍّ قَرِيبَةٌ فَيَضْوَى وقَدْ يَضْوَى رَدِيدُ القَرَائِبِ [٢]

ولكن لكل شيء محاسن ومعائب وله تأثيرات حسنة وأخرى جانبية فالدواء مع أنه يعالج إلا أنه يترك أثرا جانبيا من إصابة الجسم بالفتور والإرهاق إلى غير ذلك مما لا يذكر مقارنة بفائدة الدواء فكذلك الزواج من خارج محيط الأسرة والأقارب والنأي عنهم وقد يفكر المرء في البعد عن دائرة الأسرة، بأن يختار امرأة ذات خلق ودين من جاراته أو إحدى بنات قريته أو مدينته أو بلده أو يتجه بفكره إلى مدينة أخرى داخل قطره، أو خارجه من بلاد المسلمين، أو من إحدى مسلمات بلاد الثغور كألبانيا والبوسنة

---

[١] انظر للمؤلف: الخلافات بين الأقارب: زواج القريب من أجنبية، وكذلك: المعلم الداعية لغير الناطقين بالعربية في مناطق الثغور: توجيهات واقتراحات فصل: زواج المعلم الداعية من نساء الثغور.

[٢] ديوان النابغة ص٢٥، اللسان مادة : ضوا

والجمهوريات الإسلامية وهذا كله مقبول لا غبار عليه وقد يشتط في تفكيره ويذهب بعيدا بأن يحاول أن يتزوج امرأة أجنبية تخالفه في الدين والجنس واللغة والمفكرون في الاقتران من الأجنبيات لهم أسباب عدة، ودوافع متنوعة، منها:

ـ الرغبة في التغيير والتنويع فكل إخوانه وأقاربه تزوجوا من بلاده أن لم يكن من قرياتهم.

ـ التزين والتزيد بالأجنبية بين الأهل والأقارب والأصدقاء والأقران.

ـ البعد عن الأهل والأقارب لما رأى هذا الذي آثر الأجنبية من شقاق وتناحر ناجم عن فشل زواجهم المتعدد الذي انتهى أكثره بالطلاق وأورث مشاكل جمة وعداوات كثيرة.

ـ الرغبة في الجمال ولوازمه من البياض والشقرة.

وهذا الرجل الذي آثر الزواج من أجنبية إن حدث أن تقدم أجنبي لأخته من نفس بلد زوجته التي اقترن بها فإنه سيكون أول الرافضين له الواقفين أمام زواجه منها.

ولا أريد أن أستقصي ما لزواج الأجنبية من آثار على الفرد والمجتمع ولكني أريد أن أؤكد أن الزواج من الأجنبيات سبب من أسباب العنوسة وأن الذي يتزوج من أجنبية قد تسبب في عنوسة بنت من بنات بلده، لأن الذي يتزوج أجنبية يتزوج امرأة واحدة فقط هي الأجنبية هذه التي يكتفي بها غالبا ولا يعدد عليها وكان من الطبيعي أن يكون في مكانها إحدى بنات بلده فآثر الأجنبية وأبقى بنت بلده حبيسة جدران بيت أبويها متأثرة بعنوستها والزواج من الأجنبيات يتعرض للفشل والإخفاق أكثر من الزواج من بنات البلد.

وصور لنا الرافعي رحمه الله تعالى قصة رجل مر بتجربة زواج فاشلة من أجنبية [1] فقال محذرا غيره في أن يقع فيما ما وقع فيه: إياكم إياكم أن تغتروا بمعاني المرأة تحسبونها معاني الزوجة، وفرقوا بين الزوجة بخصائصها، وبين المرأة بمعانيها، فإن كل زوجة امرأة، ولكن ليس في كل امرأة زوجة.

واعلموا أن المرأة في أنوثتها، وفنونها النسائية الفردية، كهذا السحاب الملون في الشفق حين يبدو، له وقت محدود ثم يمسخ مسخا، ولكن الزوجة في نسائيتها الاجتماعية كالشمس: قد يحجبها ذلك السحاب، بَيْدَ أن البقاء لها وحدها، والاعتبار لها وحدها، ولها وحدها الوقت كله.

لا تتزوجوا يا أخويّ المصريين بأجنبية، إن أجنبية يتزوج بها مصري، هي مسدس جرائم فيه ست قذائف:

الأولى: بوار امرأة مصرية وضياعها بضياع حقها في هذا الزواج، وتلك جريمة وطنية فهذه واحدة.

والثانية: إقحام الأخلاق الأجنبية على طباعنا وفضائلنا في هذا الاجتماع الشرقي وتوهينه بها وصدعه، وهي جريمة أخلاقية.

والثالثة: دس العروق الزائغة في دمائنا ونسلنا، وهي جريمة اجتماعية.

والرابعة: التمكين للأجنبي في بيت من بيوتنا يملكه ويحكمه ويصرفه على ما يشاء، وهي جريمة سياسية.

والخامسة: للمسلم منا إيثار غير أخته المسلمة، ثم تحكيمه الهوى في الدين من ما يعجبه وما لا يعجبه، ثم إلقاؤه السم الديني في نبع ذريته المقبلة ثم صيرورته خزيا لأجداده

---

[1] حديث الرافعي هنا عن الأجنبية الكافرة.

الفاتحين الذين كانوا يأخذونهن سبايا، ويجعلونهن في المنزلة الثانية أو الثالثة بعد الزوجة، فأخذته هي رقيقا لها، وصار معها في المنزلة الثانية أو الثالثة بعد،[١] وهذه جريمة دينية.

والسادسة: بعد ذلك كله: أن هذا المسكين يؤثر أسفله على أعلاه، ولا يبالي في ذلك خمس جرائم فظيعة، وهذه السادسة جريمة إنسانية.

ما كنت أحسب يا إخواني وقد رجعت بزوجتي الأوربية إلى مصر أني أحضرت معي من أوربا آلة تصنع أحزاني ومصائبي ، ولم يكن أحد وعظني بما أعظكم به الآن ، ولا تنبهت بذكائي إلى أن الزوجة الأجنبية تثبت لي غربتي في بلادي ، وتثبت أني غير وطني أو غير تام الوطنية ، ثم تكون مني حماقة تثبت للناس أني أحمق فيما اخترت، ثم تعود مشكلة دولية في بيتي، يزورها أبناء جنسها و يستزيرونها رغم أنفي وفمي ووجهي كله.

إن الشيطان في أوربا شيطان عالم مخترع، فقد زين من تلك الزوجة ثلاث نساء معا: زوجة عقلية، وزوجة قلبية، وزوجة نفسية، ثم نفث اللعين في روعي أن المرأة الشرقية ليس فيها إلا واحدة، وهي مع ذلك ليست من هؤلاء الثلاث ولا واحدة. قال الخبيث: لأنها زوجة الجسم وحده، فلا تسمو بالعقل، ولا تتصل بالقلب، ولا تمتزج بالنفس، وأنها بذلك جاهلة غليظة الحس، خشنة الطبع، لا تكون مع المصري إلا كما تكون الأرض المصرية مع فلاحها.[٢]

والذي يتزوج أجنبية لا يضع في ذهنه أولاده الذين سيخلفهم هذا الزواج وكيف ينشئون كما أنه لا ينظر إلى تبعات الوصول إليها وإزارها أهلها من تذاكر طيران

---

[١] يريد بعد عشيقها.

[٢] وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ج ١ ص ٢٨٥ ـ ٢٨٧

وإقلاق راحة تغنيه عنها من تكون في بلده من النساء كما أن هناك عاملا نفسيا مهما هو أن الأجنبية تشعر بالاستعلاء وأن من تزوجها فإنه قد فضلها على سائر نساء بلده فقطع إليها الفيافي والقفار والأودية بل تجاوز للمجيء إليها القارات ليأتي بها، كما أن الأجنبية تنظر نظرة ندية ومساواة لزوجها لغياب مفهوم القوامة عند هؤلاء القوم، وعدم تحديد ماهيته رغم أنه قانونا عند الرجل. وسلب الرجل المرأة في الغرب من كل شيء حتى من اسم أبيها وعائلتها فهي تنسب له، رغم أنه في الظاهر قد أعطاها الحرية على مطلقها فعل كل هذا ليتاجر بها، فجعلها أمة في أسواق الرقيق الأبيض فأرهقها ماديا ونفسيا وابتزها جسديا.

وخير مثال لذلك وإن شئت فقل شر مثال لذلك طه حسين المسمى بعميد الأدب العربي الذي كان يرى أن زوجته الفرنسية سوزان ملاكا أرسلته إليه العناية الإلهية واختص بها اختصاصا وكان يرى أن هذا الملاك أشد عطفا عليه وأكثر برا به من أمه التي ولدته ، كما ذكر ذلك في رسالة وجهها إلى ابنته، كما هو مسطور في كتابه الأيام وهو عبارة عن مذكرات كتبها عن حياته.[1]

في إحصائية حديثة عن حالات الزواج في الكويت ثبت أن أكثر زيجات المواطنين العرب في البلاد هي من مواطنات آسيويات، بل ثبت أن المواطن العربي يفضل الزواج من آسيوية على الزواج من مواطنته العربية، وربما صاحبة الجنسية التي يحملها(!).

فطبقاً للإحصائية- التي تناولت جميع حالات الزواج الموثقة في وزارة العدل بالكويت حتى نهاية عام١٩٩٩ لمختلف الجنسيات – تبين أن المرأة الآسيوية جاءت في الاختيار الأول للزواج لدى الرجل العماني، والاختيار الثاني – بعد الكويتية – عند

---

[1] انظر : كتاب الأيام لطه حسين

الإماراتي، والثاني بعد السورية لدى السوري، والثاني بعد اللبنانية بالنسبة للرجل اللبناني، والثاني كذلك بعد الكويتية لدي البحريني، وحلت في المرتبة الرابعة بالنسبة للرجل السعودي، وذلك بعد الكويتية والسعودية، وغير محددة الجنسية (البدون)، على التوالي، أما بالنسبة للرجل العراقي المتواجد في الكويت فقد كانت المرأة الآسيوية هي الاختيار الثالث، بعد العراقية ثم الكويتية (!).

الميل للزواج من آسيويات ظهر كذلك لدى الرجال الكويتيين أنفسهم الذين جاء اختيارهم للمرأة الآسيوية للزواج في المرتبة الرابعة، فمن بين ما مجموعه ٧٢٤٥ كويتياً اختار ٦١٣٧ من بينهم المرأة الكويتية للزواج، فيما فضل ٣٤١ كويتياً المرأة السعودية، كما اختار٢٢٥ كويتياً الزواج من غير محددة الجنسية، فيما فضل ١٦٨ المرأة الآسيوية!.

وبالنسبة للأزواج المصريين، جاءت المرأة الآسيوية الاختيار الأول لهم، وذلك قبل مواطناتهم المصريات!، فمن بين ٣٩٧ حالة زواج تمت للرجال المصريين خلال عام ١٩٩٩؛ اختار الرجال المصريون ٢١٤ مواطنة آسيوية للزواج، وتلا ذلك اختيارهم لـ ١٠٢ مواطنة مصرية (!)، فيما جاء في المرتبة الثالثة الزواج من كويتية بمجموع حالات زواج بلغ ٢٧ حالة ثم اللبنانية١٤ حالة؛ فالزواج من سوريات ٨ حالات ثم الفلسطينيات ٨ حالات فالزواج من الأردنيات ٤ حالات، ثم الزواج من أفريقيات ٣، ثم ثلاث سعوديات، وأمريكيتين، وأوروبية، وعراقية واحدة!.

وفي تحليل هذه الظاهرة الغريبة يشير علماء الاجتماع والنفس إلى أن من أهم أسباب ميول الرجال العرب للزواج من آسيويات، هو رخص الزواج، وانخفاض التكاليف؛ إذ لا تشترط المرأة الآسيوية للزواج سوى المكان المناسب للسكنى، ولو كان

غرفة، ولا شيء بعد ذلك. بينما تشترط المرأة العربية عموما، أو أهلها خصوصاً، شروطاً باهظة للزواج.

والأمر الثاني هو حب المرأة الآسيوية للخضوع لزوجها، وربط حياتها معه بتلبية جميع رغباته، واستعدادها لتحمل شظف العيش، وشتى صنوف الحياة معه.

لكن علماء الاجتماع والنفس يشيرون – في الوقت نفسه – إلى سلبيات هذا الزواج من مثل: اختلاف العادات، والتقاليد، والإرث الحضاري؛ مما ينعكس سلباً، خاصة عند تربية الأبناء، ومحاولة ربطهم بأسرة الأبوين معا، وإحداهما في الشرق الأوسط، والأخرى في الشرق الأقصى، سواء في الفليبين أو الهند أو تايلاند، أو باكستان، أو إندونيسيا، أو سريلانكا ... الخ.

وفيما تلاحظ ظاهرة إقبال الرجال العرب على الزواج من آسيويات لا تشير الأرقام إلى شيوع هذه الظاهرة بين النساء العربيات في الاقتران بأزواج غير عرب، الأمر الذي يعني ببساطة ارتفاع نسبة العنوسة بينهن!.

وفي السياق نفسه، تؤكد الإحصائية أن المرأة الكويتية هي الأكثر حظاً في الزواج بالكويت وفي الطلاق أيضا! فقد سجلت أعلى نسبة من الزواج (تليها الآسيوية!)، كما سجلت أعلى نسبة في طلاقها (٣٣%)، وبالنسبة للرجال تأتي نسبة طلاق الكويتيين في المرتبة الأولى، يليهم المصريون، ثم السعوديون.[1]

وتشير الإحصائيات إلى أن ٣٧ من العرائس أجنبيات مع اختلاف العادات والقيم والتقاليد عندهن عنها في الإمارات، بل إن وجود الأجنبيات كخادمة أو سكرتيرة أو زميلة في العمل كان وراء تدهور العلاقة وتدمير زيجات كثيرة بين المواطنين، كما أن

---

[1] الكويت ــ عبد الرحمن سعد – إسلام أون لاين.نت/ ٦-٥-٢٠٠١

نسبة ٥٠ من الزيجات بالأجنبيات في الإمارات تنتهي بالطلاق، مخلفة وراءها أطفالا مشردين وعائلات مفككة، كما أدى هذا الزواج بالأجنبية إلى استفحال العنوسة، وارتفاع نسبة الطلاق بين الأسر الإماراتية.

ولقد كان الزواج بأجنبيات يتم قبل خمسة عشر عاما في نطاق محدود بين كبار السن الإماراتيين ونسوة من شبه القارة الهندية، مع وجود فارق كبير في السن، أما الآن فقد زادت المشكلة واستفحلت لسهولة الارتباط وانعدام التكلفة بمقارنتها بتكاليف الزواج من فتاة إماراتية.

وتختلف نسبة الزواج من أجنبيات من إمارة لأخرى كما تقول د. آمنة خليفة مديرة مركز الانتساب بالشارقة وذلك تبعا للحالة الاقتصادية والاجتماعية فترتفع النسبة في ((دبي)) ثم "أبو ظبي"، وتقل في "عجمان" "وأم القوين".

وتكمن الخطورة في الزواج بأجنبيات مسلمات وغير مسلمات، في التأثيرات المباشرة على الأطفال وهويتهم اللغوية، وبالتالي على هوية المجتمع بأكمله، وبخاصة الزيجات من غير المسلمات التي تنتشر في الإمارات بوجه خاص، ويرجع ذلك إلى السفر والإقامة الطويلة في الخارج من أجل الدراسة، وتختلف الآثار النفسية والاجتماعية للزواج من أجنبية تبعا للزوجة وجنسيتها ولغتها، ولكن الضحية الأولى هم الأطفال وتنشئتهم الاجتماعية.

وتؤكد الإحصائيات أن نسبة الطلاق بين المواطنين تبلغ٤١,٢%، أما نسبة الطلاق بين الشباب الإماراتي وأجنبيات فهي ٦٣% في أبو ظبي، أما نسبة طلاق المواطنات الإماراتيات من أجانب فهي ٢٤,١%.

وفي الشارقة بلغت نسبة الزواج من غير المواطنات ٣٨,٣% ونسبة الطلاق ٥٤%.

وفي عجمان بلغت نسبة الزواج بالأجنبيات ٣٧,٣% ونسبة الطلاق ٥٣%.

وفي البحث الميداني الذي أجرته وزارة العمل بدولة الإمارات أعطى المواطنون الذين شملهم البحث آراءهم حول سبل معالجة الزواج من أجنبيات كما يلي:

٢٧,٥% قالوا بضرورة ابتعاد الأهل عن التدخل بين الزوجين.

٨,٤% طالبوا برفع المستوى التعليمي والثقافي للفتاة المواطنة.

١٤,٥% طالبوا الحكومة بتقديم مساعدات مادية للراغبين في الزواج من مواطنات.

٦,٦% طالبوا الفتاة المواطنة بقبول الزواج ممن سبق لهم الزواج.

وفي المملكة المغربية تبرز ظاهرة الزواج بأجنبيات بشكل واضح وذلك لموقع المغرب الجغرافي، إضافة لهجرة العمالة المغربية باتجاه أوروبا، فهناك أكثر من مليوني شخص مهاجر إلى فرنسا وإيطاليا وألمانيا نسبة كبيرة منهم من المتزوجين بأجنبيات.

فهذا مغربي يعمل في صناعة السيارات بفرنسا وتزوج بفرنسية، لأنه لم يكن هناك الوقت للتعرف على أسرة مغربية أو عربية خلال شهر الإجازة.

وهذا آخر يعمل في مدينة ليون وضعه أكثر مأساوية، فقد تزوج فرنسية تعرف عليها في متجر، وعندما كبر ابنهما، وأصبح في حاجة ليتعلم اللغة العربية وجد من أمه تقاعسا كبيرا، كأنها تريد فصل الابن عن جذوره.

قال الحاج محمد الهراوي محذرا عن الزواج من الأجنبيات:

وإن زواج المرء من غير جنسه ... قطيعة أرحام وفك صلات

وإن هوى يدنيه من أجنبية ... خروج على الأوطان بالنزغات

فكم من فتى بان على غير أهله ... تقلب فوق الشوك والجمرات

ترى نفسها أعلى وأشرف بيئة ... ولو أنها من بيئة الطرقات
وإن لها فضلا عليه وإنه ... على فضله خال من الحسنات
فيا ضيعة الآمال من فتية الحمى ... إذا استسلموا للغي والنزغات
ويا ذل أوطان رمى البين شملها ... وقاطع فيها الأخوة الأخوات
نساؤكم يا قوم أولى بقربكم ... فهن المعين الحق في النكبات
هبوهن أدنى من سواهن رتبة ... وأسوأ في تغربكم درجات
فمن الذي يرقى بهن إلى العلى ... سواكم ومن يتبعن في الخطوات؟

٧ـ التشاؤم ببعض النساء[١]:

من أسباب عنوسة بعض النساء التشاؤم بها وذلك بأن يكون قد مات لها زوج أو زوجان من قبل أو افتقر أحدهما بعد غناه الذي كان يتمتع به قبل الاقتران بها، أو مرض بعد صحته وعافيته التي كان يتحدث بها من حوله قبل أن يقع في حبالها، أو أن يحصل له مكروه كان في عافية وسعة منه قبل أن يجمعها إلى بيته، فتكون هذه المرأة محط أنظار الناس، ومكمن خطر، ويكون قد رسخ في أذهانهم أن هذه المرأة مشئومة وأنها تصيب وتعدي بشؤمها من يقترب منها، قيل:تزوج رجل امرأة قد مات عنها خمسة أزواج فمرض السادس فقالت: إلى من تكلني قال: إلى السابع الشقي.[٢]

---

[١] ترى آنسة أرملة مات زوجها بعد عقد القران أن موت زوجها حولها من فتاة خفيفة الظل إلى "وجه النحس " يخاف منها الكبار والصغار، ولم يتقدم أحد لخطبتها، وفقدت الأمل وتيبس شعورها وتحول العالم إلى كآبة مستمرة، فعمرها واحد وأربعون عاما، ومن سيغامر ويتزوجها؟!

[٢] محاضرات الأدباء مجلد ٢ ج ٣ ص ٢٢٠

وقال الحكم بن عبدل حاكيا تجربته عن زواجه من عجوز وكيف وجدها وكيف أنها كانت تحدثه بما مضى من زمانها وأزواجها المتعددين وكيف أنهم أحسنوا إليها حتى تمنت أن تموت وتدفن مع بعضهم حبا وشوقا لهم:

أعاذلتي من لوم دعاني ... أقلا اللوم إن لم تعذراني
فإني قد دللت على عجوز ... مبرقعة مخضبة البنان
تغضن جلدها واخضر ... إلا إذا ما ضرجت بالزعفران
فلما أن دخلت وحادثتني ... أظلتني بيوم أرونان
تحدثني عن الأزمان حتى ... سمعت نداء حر بالأذان
فقالت قد نكحت اثنين ... شتى فلما صاحباني طلقاني
وأربعة نكحتهم فماتوا ... فليت عريف حي قد نعاني[1]

ويشتهر شؤم المرأة بين الناس وينتشر انتشار النار في الهشيم[2] وقد تدرك المرأة ذلك عن نفسها فترفض متقدما لها لأجل ذلك[3] ويترسخ هذا المفهوم ويزيد ثباتا إن كان قد سبق

---

(١) الأغاني ج ٢ ص ٤١٠

(٢) قال الراغب: روي أن أم حبيب بنت قيس العدوية قالت: لا أنكح إلا العدويين المحمديين، فنكحت محمد بن عمرو بن العاص ففارقها، ثم محمد بن خليفة فقتل، ثم محمد بن أبي بكر فقتل، ثم محمد بن جعفر بن أبي طالب فمات، ثم محمد بن إياس فتوفيت معه. وكان ابن عمر يقول: من أراد الشهادة الحاضرة فليتزوج بها. [محاضرات الأدباء مجلد ٢ ج ٣ ص ٢٢٠]

(٣) قال ابن حجر رحمه الله : أخرج بن سعد بسند حسن عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب كانت عاتكة تحت عبد الله بن أبي بكر فجعل لها طائفة من ماله على ألا تتزوج بعده ومات فأرسل عمر إلى عاتكة أن قد حرمت ما أحل الله لك فردى إلى أهله المال الذي أخذته ففعلت فخطبها عمر فنكحها فقتل عنها ثم تزوجها الزبير بن العوام ثم قتل عنها الزبير قتله عمرو بن جرموز بوادي السباع وهو

لأمها أو جدة من جداتها أو أختها أو إحدى قريباتها أن توفي لها زوجان أو كانت مثفّية [١] فإنها تصير مجمعا للشر وبؤرة للشؤم والنحس بلا أدنى شك ولا ريب ويتواصى أفراد المجتمع بالنفور من المرأة المشئومة وعدم الزواج منها، بل عدم الاقتراب منها ، قال الأصمعي: سمعت بعض الهلاليين يقول لبنيه: يا بني لا تتزوجوا المميتات[٢] فإنهن يضربن على رؤوسكم بمن كان قبلكم، وتزوجوا المطلقات فإنهن أضعف النساء، وإنكم لتضربوهن برؤوسهن بمن كان قبلكن.[٣] لأنها أمرها في إدبار وهي تصيب وتعدي من يكون قريبا منها، قال نصر بن شبث عن بني أمية وإدبار أمرهم وخوفه من عدوى هذا الإدبار: أولئك قوم قد أدبر أمرهم والمدبر لا يقبل أبدا، لو سلّم عليَّ رجل مدبر لأعداني إدباره.[٤]

نائم ثم تزوجها بعده محمد بن أبي بكر فقتل عنها بمصر ويقال إن عليا خطبها فقالت إني لأضن بك عن القتل. فأبت أن تتزوجه ولو تزوجته لقتل عنها أيضا وكانت تقول : إني لأحسبني أني لو تزوجت جميع أهل الأرض لقتلوا عن آخرهم. [الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم :١١٤٤٨/ البداية والنهاية، (تحقيق : أحمد عبد الوهاب فتيح) ج ٨ ص ٢٣ / المستطرف ج ٢ ص ٤٨٤]

[١] قال ابن فارس: الثاء والفاء والحرف المعتل أصل واحد، وهو الأثفية والجمع أثافي، ومما يشتق من هذا المرأة المثفّية، التي مات عنها ثلاثة أزواج، والرجل المثفّي الذي يموت عنه ثلاثة نسوة. [معجم المقاييس في اللغة لابن فارس ص ١٨٤]

[٢] المميتة أو الفاقِدُ من النساء: التي يموتُ زَوْجُها أو ولدُها أو حميمها. أو هي التي تتزوج بعدما كان لها زوج فمات. قال: والعرب تقول: لا تَتَزَوَّجَنَّ فاقداً وتزوج مطلقة.[لسان العرب ، مادة فقد]

[٣] انظر: ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار، لابن قطعة، ص ٣٣٧

[٤] تاريخ ابن خلدون ج٣ص٢٥٢

وتستحي المرأة المميتة من النظر في وجه من فجعتهم بأبنائهم، ذكر أبو بشر الدولابي في الذرية الطاهرة من طريق أبي إسحاق عن الحسن بن الحسن بن علي قال لما تأيمت أم كلثوم بنت علي عن عمر فدخل عليها أخواها الحسن والحسين فقالا لها إن أردت أن تصيبي بنفسك مالا عظيما لتصيبن فدخل علي فحمد الله وأثنى عليه وقال أي بنية إن الله قد جعل أمرك بيدك فإن أحببت أن تجعليه بيدي فقالت: يا أبت إني امرأة أرغب فيما ترغب فيه النساء وأحب أن أصيب من الدنيا فقال: هذا من عمل هذين ثم قام يقول والله لا أكلم واحدا منهما أو تفعلين فأخذا شأنها وسألاها ففعلت فتزوجها عوف بن جعفر بن أبي طالب وذكرها الدار قطني في كتاب الإخوة أن عوفا مات عنها فتزوجها أخوه محمد ثم مات عنها فتزوجها أخوه عبد الله بن جعفر فماتت عنده وذكر بن سعد نحوه وقال في آخره فكانت تقول إني لأستحي من أسماء بنت عميس مات ولداها عندي فأتخوف على الثالث قال فهلكت عنده ولم تلد لأحد منهم. [١]

وفي رأي كثير من الناس أن المرأة حديدة العرقوب[٢] عارية الظنبوب[٣] ناتئة عظام الكعبين أنها من مشائيم النساء ، وأن المرأة الدرماء الكعبين من ميامين النساء.

---

[١] الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم، ١٢٢٣٣

[٢] قال الشاعر (بهجة المجالس وأنس المُجالس وشحذ الذاهن والهاجس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص٥٦٩):

نبئت أن فتاة كنت أخطبها عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

[٣] الظُّنْبُوب: هو حَرْف العَظْمِ اليَابِسُ من السَّاق: أي عَرِىَ عَظْمُ سَاقها من اللحم لُهزالها.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {ظنب}]

وليس الشؤم في كل النساء بل تختص به امرأة دون أخرى، فعن سَالِم بْن عَبْد اللَّه أَنَّ عَبْدَ اللَّه بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ فِي الْفَرَسِ وَالْمَرْأَةِ وَالدَّارِ.[١]

وجاء شؤم المرأة مفسرا في الحديث بأنه عقم رحمها وعدم ولادتها وأنه سوء الخلق.[٢]

قال ابن حجر : قوله (باب ما يتقى من شؤم المرأة) الشؤم بضم المعجمة بعدها واو ساكنة وقد تهمز وهو ضد اليمن ، يقال تشاءمت بكذا وتيمنت بكذا. قوله (وقوله تعالى :﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾[٣] (كأنه يشير إلى اختصاص الشؤم ببعض النساء دون بعض مما دلت عليه الآية من التبعيض. وقد جاء في بعض الأحاديث ما لعله يفسر ذلك وهو ما أخرجه أحمد وصححه ابن حبان والحاكم من حديث سعد مرفوعا " من سعادة ابن آدم ثلاثة: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح ، والمركب الصالح . ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة: المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء " وفي رواية لابن حبان " المركب الهني ، والمسكن الواسع " وفي رواية للحاكم " وثلاثة من الشقاء: المرأة تراها فتسوء وتحمل لسانها عليك، والدابة تكون قطوفا فإن ضربتها أتعبتك وإن تركتها لم تلحق أصحابك ، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق" . وللطبراني من حديث

---

[١] صحيح البخاري، كتاب: الجهاد والسير، بَاب مَا يُذْكَرُ مِنْ شُؤْمِ الْفَرَسِ، حديث رقم: ٢٦٤٦/ صحيح مسلم، كتاب: السلام، باب: الطيرة والفأل وما يكون فيه الشؤم، حديث رقم: ٤١٢٨

[٢] عَنْ حَبِيبِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ قَالَتْ عَائِشَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشُّؤْمُ سُوءُ الْخُلُقِ. [مسند الإمام أحمد، مسند السيدة عائشة، حديث رقم : ٣٣٤٠٨]

[٣] سورة التغابن آية ١٤

أسماء " إن من شقاء المرء في الدنيا سوء الدار والمرأة والدابة " وفيه سوء الدار ضيق مساحتها وخبث جيرانها وسوء الدابة منعها ظهرها وسوء طبعها، وسوء المرأة عقم رحمها وسوء خلقها.[1]

قال النووي: اختلف العلماء في هذا الحديث، فقال مالك وطائفة: هو على ظاهره، وإن الدار قد يجعل الله تعالى سكناها سببا للضرر أو الهلاك، وكذا اتخاذ المرأة المعينة أو الفرس أو الخادم قد يحصل الهلاك عنده بقضاء الله تعالى. ومعناه قد يحصل الشؤم في هذه الثلاثة كما صرح به في رواية: (إن يكن الشؤم في شيء) وقال الخطابي وكثيرون: هو في معنى الاستثناء من الطيرة أي الطيرة منهي عنها إلا أن يكون له دار يكره سكناها، أو امرأة يكره صحبتها، أو فرس أو خادم فليفارق الجميع بالبيع ونحوه، وطلاق المرأة. وقال آخرون: شؤم الدار ضيقها، وسوء جيرانها، وأذاهم. وشؤم المرأة عدم ولادتها، وسلاطة لسانها، وتعرضها للريب. وشؤم الفرس: أن لا يغزى عليها، وقيل: حرانها وغلاء ثمنها. وشؤم الخادم سوء خلقه، وقلة تعهده لما فوض إليه. وقيل: المراد بالشؤم هنا عدم الموافقة. واعترض بعض الملاحدة بحديث (لا طيرة) على هذا ، فأجاب ابن قتيبة وغيره بأن هذا مخصوص من حديث (لا طيرة إلا في هذه الثلاثة) قال القاضي : قال بعض العلماء : الجامع لهذه الفصول السابقة في الأحاديث ثلاثة أقسام: أحدها ما لم يقع الضرر به ولا اطردت عادة خاصة ولا عامة، فهذا لا يلتفت إليه، وأنكر الشرع الالتفات إليه، وهو الطيرة. والثاني ما يقع عنده الضرر عموما لا يخصه، ونادرا لا متكررا

---

[1] فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٩ ص ١٦٦ــ١٦٧

كالوباء، فلا يقدم عليه، ولا يخرج منه. والثالث ما يخص ولا يعم كالدار والفرس والمرأة ، فهذا يباح الفرار منه.[١]

وقد يتزوج مميت من الرجال مميتة من النساء فينتظر الناس وينتظران هما نتيجة هذا الزواج، قال الراغب الأصفهاني: تزوج أعرابي أربع نسوة متن عنده، ثم تزوج امرأة مات عنها خمسة أزواج فقال:

بوازل أعوام أذاعت بخمسة وتعتدني إن لم يق الله ساديا
ومن قبلها أهلكتُ بالشؤم أربعا وواحدة أعتدها في حسابيا
كلانا مطل مشرف لغنيمة ويقضي إله الخلق ما كان قاضيا[٢]

٨ـ القوة والبأس والشدة :

الزواج يقوم على طرف قوي يأمر وآخر يتلقى ويقر ، فالذي يأمر هو الزوج والذي يقر هو الزوجة، قال البعيث:

ألست كليبيا إذا سيم خطة أقر كإقرار الحليلة للبعل[٣]

ولا يعني هذا أن يستأسد الطرف القوي على الضعيف ولكن تكون بينهما المودة والرحمة التي بين الله سبحانه وتعالى أنها آية من آياته قال الله تعالى﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ

---

[١] مسلم بشرح النووي (طبعة دار الباز)ج ٩ ص ٥٩٧٠ ــ ٥٩٧٢

[٢] محاضرات الأدباء مجلد ٢ ج ٣ ص ٢٢٠

[٣] الشعر والشعراء لابن قتيبة (طبع دار الثقافة بيروت)ج ١ ص ٤٠٦

مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [١]

ولكن إن كان الزوجان قويين تصادما وإن كانا ضعيفين ضاعا وإن كان الزوج قويا والمرأة ضعيفة أمامه عاشا وإن كان الرجل ضعيفا والمرأة قوية فيكون قد انقلب الميزان فهي صارت الرجل وهو قد صار في مكانها.

قال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: إذا كان الرجل مذكرا والمرأة مذكرة تصادما العيش، وإذا كان الرجل مؤنثا والمرأة مؤنثة ماتا هزلا، وإن كان الرجل مؤنثا والمرأة مذكرة كان الرجل هو المرأة، والمرأة هي الرجل، وإذا كان الرجل مذكرا والمرأة مؤنثة طاب عيشهما. [٢]

والقوة تكون في الشخصية كما أنها تكون في البدن، فقوة الشخصية عند المرأة أن توجه زوجها حيث شاءت وأن تأمره بما أرادت فعليه أن يفعل كذا ويترك كذا وقد تتلذذ المرأة بأمر زوجها بأن يعمل كذا وكذا من أعمال البيت وهو قد يعمل ذلك تخفيفا لها ومساعدة وائتمارا بسنة النبي صلى الله عليه وسلم: فعَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قِيلَ لِعَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ قَالَتْ كَمَا يَصْنَعُ أَحَدُكُمْ يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيُرَقِّعُ ثَوْبَهُ. [٣]

---

[١] سورة الروم آية ٢١

[٢] بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الثاني ص٣٦ــ٣٧

[٣] مسند الإمام أحمد، مسند السيدة عائشة، حديث رقم: ٢٣٦٠٦

والرجل قد يفعل ذلك غير فطن لما تريد بل قد تفكر في عصيانه وعدم الائتمار بأمره تأكيدا لشخصيتها وهيمنة وسيطرة عليه وهو يفعل ما تقول له لعدة أسباب:

ـ أن تكون المرأة سليطة اللسان ذربة القول، فحلة،[١] كثيرة الصياح، دائمة النباح، تسلق بلسان حاد، فيكون زوجها خائفا من لسانها وحدته متواريا من فظاظتها وغلظتها يخشى منها خوفا من الفضيحة بين الجيران فيريد ستر الأمور وغطاءها.

ـ أن يكون الرجل ضعيف الشخصية يخاف منها حقيقة.

كما أن القوة تكون في البدن فقد تكون زوجته ضخمة جدا، ويكون الرجل ضعيف البنية فيكون خائفا من أن تناله بسوء أو تتناوله بيدها الغليظة أو تصفعه أو تلكمه أو تركله برجلها أو تضربه بعصا أو نحوها أو تجمع كل ذلك له.[٢] وقد يكون زوجها ضعيف البنية هزيل الجسم مختل التكوين خلقة وطبيعة لذا فالرجال دائما يرغبون في المرأة الغضة الطرية ، فبعضهم لأجل ذلك يفضل البدانة على النحافة فلا يعقل أن يتزوج رجل بملاكمة أو مصارعة أو رياضية أو ممن تشارك في ألعاب القوى لأن الرجل يريد بخنداة لا سبنتاة[٣] يريد نعجة لا يريد لبوة،[٤] يريد امرأة تشعر أمامه بقوته وجبروته، لا امرأة

---

[١] امرأةٌ فَحْلَةٌ: سَليطَةٌ. [القاموس المحيط باب اللام. فَصْلُ الفَاء]

[٢] انظر قصة جران العود مع زوجتيه اللتين ضربتاه وخنقتاه وكيف أن إحداهما جرته نحو الماء وذلك بعد أن فقد الوحي وقد صور ذلك في حوار طريف بديع انظر ذلك في : غنية المحتاج في أنواع الأسرة وبناء الزواج للمؤلف

[٣] قيل: سبنتاة في جلد بخنداة. والسبنتى النمر، وألفه ليست للتأنيث، ويقال للمؤنث سبنتاة، الجمع سبانت، ومنهم من يقول سبانيت، ويضرب المثل للمرأة السليطة الصخابة. [مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٤٨٤]

[٤] قال جران العود [محاضرات الأدباء ج ١ ص ٢٢٣] :

تشعره بضعفه وأن قزم لا حول له ولا قوة وإن فعلت المرأة فعلا يوحي بوقتها وشدة بأسها فإن الرجل يحذرها ويخافها ولا يكون معها في أمان وقوة المرأة المفرطة وشدة بأسها قد تكون سببا في عنوستها وعزوف الرجال عنها كما في هذه القصة:

قال المفضل الضبي: أخبرني مسعر بن كدام عن معبد بن خالد الجدلي، قال: خطبت امرأة من بني أسد في زمن زياد، وكان النساء يجلسن لخطابهن، قال: فجئت لأنظر إليها، وكان بيني وبينها رواق فدعت بجفنة عظيمة من الثريد مكللة باللحم ، فأتت على آخرها وألقت العظام نقية ، ثم دعت بشن عظيم مملوء لبنا ، فشربته حتى أكفأته على وجهها، وقالت: يا جارية ارفعي السجف ، فإذا هي جالسة على جلد أسد وإذا هي امرأة جميلة شابة، فقالت: يا عبد الله إنني أسدة من بني أسد، وعلى جلد أسد ، وهذا طعامي وشرابي، فعلام ترى؟ فقلت: أستخير الله في أمري وأنظر. قال: فخرجت ولم أعد.[1]

أن قوة المرأة المفرطة تجعل الرجل يخاف أن تتحول هذه الشدة وأن ينقلب هذا البأس عليه. كما أن أقل درجات هذه القوة والشدة التي تؤثر في الحياة الزوجية هي: أن تمنع المرأة زوجها نفسها فلا تمكنه منها وهو يستحي من لطم ذات السوار،[2] وقد يكون حقيقة يفرق ويخشى إن صارعها أن لا ينتصر عليها أو أن تغلبه حتى ولو انتصر عليها فما الفخر الذي يجنيه بتفوقه على امرأة أعدت ليوم الروع ردعا ومجمرا وأما إن تفوقت عليه فتلك قاصمة الظهر التي لا تقال، وسوءة لن تغتفر ولا تنسى.

يقولون في البيت لي نعجة وفي البيت لو يعلمون النمر

[1] العقد الفريد لابن عبد ربه ، تحقيق أحمد أمين ، ج٦ص١٠٤

[2] قيل: لو ذات سوار لطمتني، أي لو ظلمني من هو كفئا لي لهان عليّ، ولكن ظلمني من هو دوني. [مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ١٦١]

٩ـ فسخ خطوبة الفتاة :

إذا خطبت فتاة من الفتيات مدة من الزمان وعرف خطبتها القاصي والداني والقريب والبعيد والصديق والعدو من الناس ، فإن خطبة هذه الفتاة في وقتها تفرح بعض الناس وتغضب آخرين من أهلها ومعارفها بخاصة الذين لهم بنات لم يتزوجن ولم يخطبن و يشاركهم في هذا الأمر بناتهم وبدافع الغضب حسدا من عند أنفسهم، وإذا تمت هذه الخطوبة على مسمع ومرأى من الناس وألبس الخطيب خطيبته دبلة الخطوبة[١] ورأى الناس ما أحضره من حاجيات وهدايا وأقاما حفلا حضره أهلهما وأقاربهما وأصدقاؤهما وصارا يتهاتفان ويتقابلان ويتزاوران ـ إن لم يكونا على درجة من الالتزام بدينهما[٢] ـ ويجهزان مستلزمات عرسهما ويفكران في تحديد مواعيد فرحهما ثم حدث أن فسخ هذا الخطيب الخطبة فإن هذا الأمر يحدث ضجة في مجتمعهما ومن حولهما من الناس،

---

[١] قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى عن دبلة الخطوبة ومشابهتها لعادات النصارى: ويرجع ذلك إلى عادة قديمة عندما كان العروس يضع الخاتم على رأس إبهام العروس اليسرى، ويقول: باسم الأب، ثم يضعه على اليسرى ويقول: وباسم الابن، ثم يضعه على رأس الوسطى ويقول: وباسم روح القدس، وعندما يقول: آمين يضعه أخيرا في البنصر حيث يستقر.

وقد وجه سؤال إلى مجلة المرأة التي تصدر في لندن في عدد ١٩ آذار ١٩٦٠م ص ٨، أجابت عنه أنجولا تلبوت محررة هذه الأسئلة والسؤال هو: لماذا يوضع خاتم الزواج في بنصر اليد اليسرى والجواب: يقال انه يوجد عرق في هذه الإصبع يتصل مباشرة بالقلب وهناك أيضا الأصل القديم عندما يضع العريس الخاتم على رأس إبهام العروسة اليسرى ويقول باسم الأب فعلى رأس السبابة ويقول وباسم الابن فعلى رأس الوسطى ويقول وباسم روح القدس وأخيرا يضعه في البنصر حيث يستقر ويقول آمين.[انظر آداب الزفاف للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، ص ٨٠]

[٢] انظر الحديث عن الخلوة ومفاسد اللقاءات بين الخطيبين في هذا الكتاب.

الذين يكونون من بين مشفق حزين وشامت مسرور ـــ والناس لا شغل لبعضهم إن لم يكونوا كلهم إلا تتبع أخبار الآخرين والانشغال بها ـــ فإنهم يتساءلون عدة تساؤلات منها:

ـــ لماذا فسخ هذه الرجل خطبة هذه الفتاة؟

ـــ ما الذي علمه عنها فلا شك أنه علم شيئا لم نعلمه وأن وراء الأكمة ما وراءها.

ـــ أظن أن هذه الفتاة المسكينة لم تنج من هذه الذئب الماكر. وأنه كان بينهما ما كان ممن لا يود ذكره فظن شرا ولا تسأل عن الخبر.

ومن ثم تصاب الفتاة بإحباط شديد، نحو هذا الرجل ـــ إن لم يكن نحو جنس الرجال ـــ الذي أهدر كرامتها ، وحطم إنسانيتها ، ولم يراع حقها ، فما أغدر الرجال وما أحمق النساء.

أما المجتمع الذي لا تهدأ ثائرته، وتفور نائرته، وأهله من بين مشفق وشامت، فإن بعضه يرثي لحال هذه الفتاة وبعضه يسخر منها ويستهزئ بها بل يفرح بما حل بها .

ولا يدري هذه الرجل أنه بفسخه لخطوبة هذه الفتاة أنها حطمها تحطيما، وأن تحطيمه لها لم يقف في تركه لها فقط بل أنه وقف حاجزا منيعا في أن يتقدم لها شخص آخر، لأن الرجل غالبا لا يريد فتاة قد تركها خطيبها ولا يعلم أحد ما هو سبب الترك لها، فهو قد جعلها نهبا للشائعات، فأفضل الأشياء وأكرمها هو البعد عنها، وفي بنات حواء غنية عنها، فلا يجرؤ أحد أن يتقدم لها وإن كانت على درجة من الجمال والأدب وكل الأشياء التي ترغب الرجال فيها، وهي عز الطلب كما يقال، فالراغبون في الزواج يقولون: لو كان فيها خير لما تركها الأول.

١٠ـ طبيعة عمل المرأة:

قد تنسى المرأة في غمرة سكرة الحصول على الشهرة والمال، نفسها وأنها امرأة فتوافق على عمل لا يناسب طبيعتها ولا تكوينها فتوافق على أن تكون راقصة أو مضيفة أو غير ذلك من وظائف تعيقها عن الزواج.

فتوافق المرأة على أن تكون مضيفة في شركة طيران،[١] وهي تحت نشوة السياحة والسفر ومشاهدة بلاد الدنيا شرقيها وغربيها، وشمالها وجنوبها، وأنها ما تنتهي من رحلة حتى تبدأ رحلة أخرى وهكذا دواليك، إلى أن تمضي أفضل سني عمرها، وتفنى زهرة شبابها، وتعمل السنون والأعوام عملها فيها ولا ينفعها ما تستعمل من كريمات ومساحيق لإخفاء التجاعيد والشحوب وأصباغ تزور بها شيبها، وهي في غمرة نشوتها لا يروعها إلا استغناء شركة الطيران عنها، فتلتفت إلى نفسها مجبرة ولسان حالها يقول: مكره أخاك لا بطل[٢] وتجد أن قطار الزواج قد فاتها وأن عمرها قد ولى وأن شبابها قد ارجحن وأفل فتندم ولات مندم.

١١ـ اتصاف المرأة بصفات تعلم أنها لا تمكنها من الزواج:

قد ترفض إحدى النساء وبخاصة الثيبات منهن المتقدمين لهن من الأزواج لصفات تعلمها من نفسها، وقد تفصح عن بعضها وتطوي بعضها مؤثرة الصمت والسكوت عليها، ومن هذه الصفات التي ترى أنها لا تمكنها من الزواج، الإفراط الشديد في الغيرة، وأنها قد توافق على زوج يتخذها زوجة واحدة، أو تشترط عليه فراق امرأته أو نسائه ـــ إن كان مقترنا بأكثر من واحدة ـــ حتى ترتبط به، ولا تطيق ولا تقبل أن يأتيها زوجها بزوجة أخرى.

---

[١] من المعلوم والمشاهد أن شركات الطيران تشترط على العاملات لديها عدم الزواج.

[٢] قال : جَرْوَل بنُ مُجاشِع : مُكْرَهٌ أخاك لا بَطَل.[لسان العرب ، مادة : جرل]

والغيرة عند بعض النساء أشبه بالجنون وعدم الوعي، فالغيراء من النساء لا تسمع ولا تبصر، عند اشتداد غيرتها، والغيرة لها شيطان مخصوص بها يذكيها ويوريها ويزيد في إشعالها واشتداد أوراها، فعن : عُرْوَةَ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلًا قَالَتْ فَغِرْتُ عَلَيْهِ فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ فَقَالَ مَا لَكِ يَا عَائِشَةُ أَغِرْتِ فَقُلْتُ وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَدْ جَاءَكِ شَيْطَانُكِ[1] قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ قَالَ نَعَمْ.[2]

وقد تتسبب الغيرة في طلاق المرأة بعد زواجها، كما حدث لريحانة بنت شمعون بن زيد: قال بن سعد أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني صالح بن جعفر عن محمد بن كعب قال كانت ريحانة مما أفاء الله على رسوله وكانت جميلة وسيمة فلما قتل زوجها وقعت في السبي فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختارت الإسلام فأعتقها وتزوجها وضرب عليها الحجاب فغارت عليه غيرة شديدة فطلقها فشق عليها وأكثرت البكاء فراجعها فكانت عنده حتى ماتت قبل وفاته.[3]

والغيرة كانت تعاني منها أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها قبل زواجها منه ولذا عللت رفضها للنبي صلى الله عليه وسلم وعدم قبولها به لعدة

---

(١) قد جاءك شيطانك: أي فأوقع عليك إني قد ذهبت إلى بعض أزواجي فأنت لذلك متحيرة متفتشة عني.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب، صفة القيامة والجنة والنار ، باب: تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، حديث رقم : ٥٠٣٥ / سنن النسائي، كتاب: عشرة النساء ، باب: الغيرة ، حديث رقم : ٣٨٩٨

(٣) الإصابة لابن حجر، ترجمة:١١١٩٧

أسباب ومن بينها هذا السبب، فدعا لها النبي صلى الله عليه وسلم فأذهب عنها الغيرة، فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ أَتَانِي أَبُو سَلَمَةَ يَوْمًا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلًا فَسُرِرْتُ بِهِ قَالَ لَا تُصِيبُ أَحَدًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ مُصِيبَةٌ فَيَسْتَرْجِعَ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا فُعِلَ ذَلِكَ بِهِ قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ فَحَفِظْتُ ذَلِكَ مِنْهُ فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ اسْتَرْجَعْتُ وَقُلْتُ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْنِي خَيْرًا مِنْهُ ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي قُلْتُ مِنْ أَيْنَ لِي خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي اسْتَأْذَنَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَدْبُغُ إِهَابًا لِي فَغَسَلْتُ يَدَيَّ مِنْ الْقَرَظِ وَأَذِنْتُ لَهُ فَوَضَعْتُ لَهُ وِسَادَةَ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ فَقَعَدَ عَلَيْهَا فَخَطَبَنِي إِلَى نَفْسِي فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ مَقَالَتِهِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بِي أَنْ لَا تَكُونَ بِكَ الرَّغْبَةُ فِيَّ وَلَكِنِّي امْرَأَةٌ فِيَّ غَيْرَةٌ شَدِيدَةٌ فَأَخَافُ أَنْ تَرَى مِنِّي شَيْئًا يُعَذِّبُنِي اللَّهُ بِهِ وَأَنَا امْرَأَةٌ دَخَلْتُ فِي السِّنِّ وَأَنَا ذَاتُ عِيَالٍ فَقَالَ أَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنْ الْغَيْرَةِ فَسَوْفَ يُذْهِبُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْكِ وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنْ السِّنِّ فَقَدْ أَصَابَنِي مِثْلُ الَّذِي أَصَابَكِ وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنْ الْعِيَالِ فَإِنَّمَا عِيَالُكِ عِيَالِي قَالَتْ فَقَدْ سَلَّمْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ فَقَدْ أَبْدَلَنِي اللَّهُ بِأَبِي سَلَمَةَ خَيْرًا مِنْهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.[1]

١٢ ـ الاعتداء على الفتاة في الصغر:

قد يفترس ذئب نعجة بريئة لا تدري ما كنه هذه العملية فيفترعها هذا الحيوان تاركها تعتصر الألم في حاضرها وتتجرع الندم والحسرة في مستقبلها بعد وعيها ومعرفتها أنها قد فقدت بكارتها، وتسهر الليالي متذكرة هذا الحادث الذي أثر في مجريات حياتها.

---

[1] مسند الإمام أحمد، مسند أبي سلمة بن عبد الأسد، حديث رقم: ١٥٧٥١

وخصصت ذكر الاغتصاب وحددته بالصغر للآتي:

ـ تستطيع الكبيرة التي تتعرض للاغتصاب الدفاع عن نفسها غالبا وذلك بصياحها وامتناعها وفضح من قام باغتصابها وإشهار أمره مما يوجد لها عذرا في المجتمع وتعاطفا منه معها وقد يقوم أحدهم بالإقدام على الزواج منها.

ـ الكبيرة المغتصبة إن آثرت الصمت ولاذت بالسكوت يكون في مخيلتها محاولة إصلاح ما أفسده هذا الذئب بعملية ترقيع البكارة.

والاغتصاب من أقوى أسباب عنوسة الفتيات لأنهن يمتنعن عن الزواج خشية الفضيحة والعار فيفضلن عدم الزواج متذرعات بمواصفات ومقاييس لا توجد في رجال الدنيا حتى يفشل زواجهن ولا يكتشف أمرهن.

فالمغتصبة لا تستطيع مصارحة أهلها لأنهم سيقتلونها رغم أنهم قد يكونون هم السبب الرئيس في اغتصابها.

ولنأخذ قصصا من اغتصاب فتيات تسبب هذا الاغتصاب في عنوستهن وصرفهن النظر عن الزواج وهي مأخوذة من موقع : العانس على الإنترنت.

قصة رقم : ١

كنت صغيرة عند الحادثة التي مزقت كياني وجعلتني أسيرة التفكير والأرق وجعلت الأرق مهربي الوحيد أو سندي في حياتي.

أستطيع القول بعد كل هذه الأعوام إنني أحمل قلبا أسود لأني أكتم كل ما في ولا أبوح لأحد وهذا هو الشيء الذي يسود علي عيشتي، كلما أردت الكلام أو الحديث بموضوعي مع أمي أتلعثم، لا أجد الكلام يخرج وأفضل السكوت، عشر سنوات أكتم، عندما كنت بالعاشرة من العمر كنت أخاف البوح بسبب تهديد الجاني. أما الآن وبعد أن كبرت وفهمت ودرست وقرأت لا أريد البوح خوفا من ردة فعل أهلي، هل

سيتقبلونني كما أنا أم سيغضبون من كتماني؟ أم أن هنالك ردة فعل سيئة جدا قلت في نفسي الكتمان أحسن فلماذا أعذبهم؟

أحاول الآن أن أتبع أشياء للنسيان اليوغا الأكل كل هذه الأشياء لم تنفعني فكرت بالطبيب النفسي ولكن لا أحب قول ما في نفسي لا أريد مع ذلك أحترق يوما بعد يوم وأتذكر كل لحظة في الحادث فهو كالفيلم يعرض في صالات دماغي الأزمة دمرت طفولتي ومراهقتي وها هي تستمر في تدميري أصبحت الآن بالعشرين وإن قررت الزواج سوف لن أخفي على من اخترته حقيقة الأمر بل سوف يرضى بي كما أنا، إن كان يريدني، هذه قاعدتي والمشكلة أن أهلي يتساءلون عن سبب رفضي للزواج حاليا ويظنون أنني مجنونة بشروطي التي طلبتها، لم أطلب مالا ولا جاها ولا فرحا ولا ثوبا أبيض لكن أطلب الحماية والحنان وزوجا يرضى بغرفة لوحدي دونه لأجل مسمى.[1]

قصة رقم : ٢

أنا فتاة أبلغ من العمر ١٨ عاما، طالبة في المرحلة الثانوية ومن عائلة محترمة، أعيش مع والدي وعمتي الوحيدة، إنها قاسية معي جدا وتكرهني، بسبب والدتي، إلى حد أنها تعيرني بأمي، التي من جنسية أخرى والتي انفصلت عن والدي منذ سبع سنوات بسبب عمتي وأنا أكره عمتي جدا. فأنا ابنة أبي الوحيدة. تصوري إنها أقنعت أبي بأن يتزوج ويحضر لي زوجة أبي تقوم بتربيتي، حسب زعمها، لأنها عجزت هي عن ذلك، فأنا أعيش في أسرة لا يسودها الحوار والصراحة. مشكلتي الأخرى التي أحتار فيها، هي أنني تعرضت للاغتصاب عندما كنت في السادسة من عمري على يد خادم كان يعمل عندنا، حسبي الله ونعم الوكيل. لقد دمر الخادم حياتي وحولها إلى جحيم، وزوجة أبي تريد أن

---

[1] مجلة الأسرة نيو استايل الشهرية مايو ٢٠٠١م

تزوجني لابن أخيها، وأبي موافق، وهنا تبدأ المشكلة، فأنا لا أستطيع مصارحة أحد من عائلتي، وخاصة أمي بمشكلتي، وذلك لأنها بعيدة عني كل البعد، وأبي يكرهها ولا يريد أن أكون على اتصال بها، وهذا شيء يعذبني جدا.

إنني لم أسمع صوت أمي منذ خمس سنوات لا أعرف أين أذهب لحل مشكلتي.[١]

قصة رقم ٣ :

أنا فتاة أبلغ من العمر ١٩ عاما، أعاني من مشكلتين، الأولى بدأت وأنا في التاسعة من عمري عندما تعرضت للاغتصاب من قبل أحد أقاربي، فأنا أعاني من تأنيب الضمير كلما تذكرت ذلك، فأنا لا أستطيع أن أقول لأحد عن هذا الموضوع، لأنه مضى عليه وقت طويل.

وأريد أن أعرف، هل أستطيع الزواج من دون أن يفتضح أمري؟ كما أنني، هل أكون ظالمة الرجل الذي سأرتبط به، لأنني لم أخبره عن هذا الأمر ؟

أما المشكلة الثانية، فهي أنني أحب شابا منذ ثماني سنوات، واكتشفت عن طريق رجل فاضل أنه يتسلى بي، فكانت الصدمة كبيرة علي، ولم أستطع أن أصدق ذلك عنه لأنه على خلق ودين، كما أنه لا ينظر لأية بنت سواي، وذلك لقرب منزله من منزلنا، كما أنه عندما كنت في الصف الثالث الثانوي سأل أبي عن نتيجتي، وبارك له. فأنا أريد أن أعرف: ماذا يريد مني؟ وماذا تعني نظراته لي؟ وهل تصدقين أنه كلما تقدم لي شاب للزواج أشعر بالضيق الشديد، نظرا لما أعاني منه؟[٢]

قصة رقم :٤

---

[١] زهرة الخليج عدد ١١٤٠ ، ٢٠٠١/١/٢٧م

[٢] زهرة الخليج العدد ١١٥٢ ، ٢٠٠١/٤/٢١م

أبلغ من العمر ١٦ سنة، وعشت طفولتي في صراعات بين أمي وأبي من ناحيـــة، وبين أبي وأمي وإخوتي من ناحية أخرى، وبالرغم من أن والدتي وأختي تحيطانني بالرعاية والحب، إلا أن الرعاية لم تمنع خادمنا من اغتصابي في سنوات عمري الأولى.

وتكررت إغتصاباته لي عدة مرات آخرها وعمري ٨ سنوات، ثم رحل عن بيتنا، وأحمد الله لأنني لم أكن بالغة في تلك الفترة، وبعد رحيله بأربع سنوات رحـــل أبي بعـــد سنوات من الصراع مع أمي وأبنائه (أي أنه متزوج بامرأة أخرى قبل أمي). وهـــم ٤ أولاد و٣ بنات. وأخرجوا أمي من الميراث بحجة أنها مطلقة وهي ليست كذلك. ونحـــن الآن وبعد مرور ٤ سنوات على وفاة أبي لم ننته من مشكلات الميراث

أنا فتاة جميلة الوجه ورشيقة القوام، وبالرغم من مسلسل معاناتي الطويل، إلا أنني تعلمت أن أومن بقضاء الله وقدره. وأنا إنسانة متفائلة ولي روح مرحة وحيوية جدا، ولا أحاول التفكير في ماضي التعيس، بل أجعل نظراتي إلى المستقبل هي الأهم.

لكن مشكلتي هي أنني أركض وراء أحدهم حتى يحبني وحالما يصـــارحني بحبـــه، أصدمه وأرفض مع العلم أنني لم أخبر أحدا بقصة اغتصابي. ولكن عندما أتـــذكر ذلـــك أرجع إلى البيت خائفة وتنتابني نوبات من البكاء الحاد، ولا أخرج إلى الشارع حتى اليوم التالي. لكني بعد أيام أعود إلى حالتي الطبيعية. أحس بأني فتاة بائسة ولـــيس لي الحـــق في الحياة.[1]

قصة رقم ٥ :

---

[1] زهرة الخليج العدد ١١٥٩ ، ٢٠٠١/٦/٢٩م

لقد ضاقت بي الحياة، فلم أعد أريد العيش فيها فترة أطول، أسمع من النـــاس أن الحياة جميلة، ولكن للأسف لم تعد جميلة بالنسبة إليّ. أحس بأنني أتعس إنسانة في الحيـــاة، وأحس بأنني لا أستحق العيش في هذه الدنيا.

فأنا فتاة أبلغ من العمر الخامسة عشر عاما، من عائلة محترمة وعلى قدر كبير من الأخلاق، وطالبة في المرحلة الثانوية. والآن تسألين: لم أنا أكـــره (أن أكـــون في هـــذه الحياة) ولا أتمنى أن أعيش فيها فترة أطول؟ (لأني ظلمت فيها كـــثيرا) أولا بانفصـــال والدي عندما كنت في السابعة من عمري، فعشت طفولة تكاد تخلو من الحنان والعطـــف بسبب انفصالهما، وقامت بتربيتي جديّ، فعشت وحيدة أعاني من قسوة الأيام في هـــذه الحياة. فعندما أمرض لا أجد أمي إلى جانبي. وعندما أبكي، لا أجد من يجفـــف دمـــوعي الحزينة والبريئة.

وثانيا، تعرضت للاغتصاب، وأنا طفله فعشت كل لحظـــات حيـــاتي في رعـــب وخوف. وعندما سمعت أن زوجة خالي حامل، حسبت أنني أنا أيضا حامـــل فحاولـــت الانتحار.

رابعا: [1] لكنني لم أتصور أن (سيأتي ويخطبني شاب) ويقول: إنه يحبني ويريدني شريكة لحياته. فرحت بهذا الخبر، لكن ((يا فرحة ما تمت)) لقد تذكرت أنـــي لســـت عذراء وبكيت وحزنت، وكدت أموت من الغم. وفكرت وقلت في نفسي : إذا رفضـــته فسأخسره للأبد، وإذا قبلت به فسأخسر ثقته بي وسيكرهني مدى عمره. ومـــع ذلـــك قررت أن أرفضه وأن أبقى في خياله تلك الصورة للفتاة الطاهرة البريئة والوفية، ولكـــن

---

[1] لم تذكر الأمر الثالث.

ماذا أفعل؟ هذا مصيري في الحياة لكن تفكير يشغله ذلك (الخطيب)، الذي لن أنساه ما دمت حية، وأنا دائما أدعو له بالخير.

ستتساءلين أين أمي في مثل هذه اللحظات؟ وأنا أقول لك: إنها ليس لها حول ولا قوة، وهي غاضبة مني لأنني رفضت (خطيبي). وأنا لا أستطيع مصارحتها لأنني سأقتلها بهذه المصارحة. وأبي إذا صارحته فإنه سيقتلني ليغسل شرفه. وأقسمت بأن أحمل هذا السر حتى أموت. [1]

قصة رقم : ٦

أنا فتاة أبلغ من العمر ١٨ عاما، أعاني من مشكلة مريرة دامت سبع سنوات، فقد انفصل والدي عن والدتي وأنا طفلة، وعشت طفولة خالية من الحنان. فالأب لا يستطيع أن يعوض حنان الأم. وأبي حاد الطباع، حتى إنني لا أستطيع التحدث إليه كباقي الفتيات. وأمي بعيدة عني جدا ولا أستطيع مصارحتها بالمشكلة. وأبي إذا قلت له عن المشكلة فسيقتلني، لأنه إنسان غير متفهم. أنا آسفة لذلك، ولكن هذه الحقيقة. ورغم ذلك فأنا أحب أبي وأحترمه.

مشكلتي المريرة هي شرفي، لقد فقدته وأنا طفلة، والسبب في ذلك هو الخادم، الذي كان يعمل في بيتنا، فاستغل الفرصة، حيث كان أبي في العمل، وأنا كنت طفلة لا أعرف شيئا. وحدث ذلك أكثر من مرة، والآن أنا أعيش حياة صعبة للغاية ولا أعرف كيف سأتغلب على مشكلتي المريرة. لقد تقدم لي أكثر من عريس، وأنا رفضتهم بسبب ذلك الشيء. ولكن الوالد، أقسم في هذه المرة أنه إذا تقدم لخطبتي أحد فسيزوجني. كلي أمل في أن تحلي لي مشكلتي (الأخصائية الاجتماعية). أرجوك أن تساعديني وتنتشليني

---

[1] زهرة الخليج العدد ١١٤٠ ، ٢٠٠١/١/٢٧م

من مصيبتي، التي أحس بأنها كالجبل على قلبي. وكل ذلك لأنه لا يوجد أحد إلى جانبي يساعدني، فأنا لا أستطيع الذهاب إلى أحد الأطباء في قريتي وعرض المشكلة عليه، لأن قريتي صغيرة جدا والناس يعرفون بعضهم جيدا.

أرجوك أن لا تهملي رسالتي وأن تردي علي في أسرع وقت ممكن، وأنا متلهفة لتلقي الرد. أخبريني ماذا أفعل، وماذا أقول، لكن لا تقولي لي أن أصارح الوالد، لأن هذ شيء صعب تتوقف عليه حياتي، وأنا وحيدة ويائسة.[١]

قصة رقم : ٧

فتاة تبلغ ١٨ سنة / ثانوي تقول بعد كلام لا علاقة له بموضوعنا فرأينا حذفه : أود أن اذكر هنا أمرا ربما لابد من ذكره عندما كنت صغيرة في السادسة من عمري. وكنت أقوم بزيارة إلى بيت خالي قام ابن خالي باستدراجي والاعتداء علي، ووقتها لم أكن أدرك شيئا، وبقيت صامتة، على الرغم من أن هذا الأمر تكرر. وبعد ذلك تزوج ابن خالي من أختي، وظل بين الحين والآخر يحاول ملامستي وبقيت صامتة.[٢]

قصة رقم ٨ :

أنا فتاة في العشرين من عمري، أعيش مع زوجة أب لا ضمير لها، تجعلني أقوم بكل أعمال المنزل وحدي، وهي جالسة مع جيرانها طول اليوم تدخن السجائر وتحتسي القهوة، فإذا ما عادت إلى البيت قبيل عودة أبي من عمله، ووجدت أن الغسيل لم ينشر مثلا، تجرني من شعري، وتنهال علي صفعا وركلا، فإذا ما شكوت لأبي قسوتها، يقول لي: هي في مكانة أمك وتقوم بتربيتك وتعليمك.

---

[١] زهرة الخليج العدد ١١٦٦ ، ٢٠٠١/٨/٢٧م

[٢] كل الأسرة العدد ٤١١ ، ٢٠٠١/٨/٢٩م

الشيء الفظيع الذي أعاني منه هو أن لها ابنا من رجل آخر، يتردد على بيتنا أثناء وجود أبي في عمله أو خلال سفره، فتتعمد أن تتركنا وحدنا، وهو شاب فاسد يتعاطى (المخدرات)، يتحرش بي وهو قوي البنية لا أقدر على مقاومته، فينال مني ما يريد بعد أن يشل حركتي، ولقد شكوت لأمه مرارا، فتضحك باستهتار (وتطلب أن استحمله فهو مثل أخي) هل أخي يمكن أن يفعل بي ذلك؟ فأدخل غرفتي وأبكي.

وذات يوم فوجئت به يأتي في الصباح ومعه زميله في عمله علمت منه أنه رئيسه جلسا يدخنان، فقالت لي أمه إنها ذاهبة لزيارة جارتنا، وتركتني معهما، فإذا به يقتحم على غرفتي ويطلب مني أن أكون ((لطيفه)) مع رئيسه في العمل حتى يرضى عنه، فصرخت فيه: لن أفعل شيئا وبكيت، لكنه صفعني بقسوة ثم نادى صاحبه إلى غرفتي وأغلق علينا الباب.

وتكررت هذه الزيارات مع شبان آخرين من أصحابه، علمت منهم أنه يتقاضى (مبلغ من المال) من كل شاب يأتي معه.

أبي لا يعرف شيئا، ولا أجرؤ على مصارحته بما يحدث معي، فقد يقتلني، وهو لن يلقى اللوم على زوجته أبدا، لأنها تسيطر عليه سيطرة كاملة، ويصدقها في كل ما تقول، أفكر في الانتحار حتى أتخلص من عاري الذي فرضته على ظروف لا ذنب لي فيها، فأنا لا أعرف مكانا لأخوالي أو أسرة أمي الذين انقطعت صلتهم بنا منذ وفاة أمي.[1]

قصة رقم :٩

---

[1] الميدان ، العدد ٤١٩ ، ٢٠٠١/٩/١١م

يستغل بنغالي ٣٢ سنة رغم إقامته الطويلة في منزل الأسرة ، غياب أولياء الأمور فيعتدي على الفتاة عدت مرات فيهددها بالقتل ثم يطلب السفر إلى بلاده ليغادر البيت تاركا طفله لا تتجاوز الرابعة عشرة وجنينا يتحرك في أحشائها .[١]

قصة رقم : ١٠

خادمة نشيطة نظيفة، كسبت مودة أهل البيت ومحبتهم حتى البنت المراهقة في الأسرة، ومن ثم استغلت الخادمة هذه الثقة فأتت عن طريق زوجها السائق بأفلام الجنس لتجلس أمامها البنت وتراها ومن ثم تدعو زوجها للدخول على البنت ويفعل بها الفاحشة.[٢]

تعقيب على السابق لا بد منه :

قبل أن نعقب على القصص السابقة يجدر بنا أن نتناول آثار الاغتصاب وإلى متى يستمر الأذى النفسي الذي يلحق بالمغتصبة؟ هل يستمر يوماً؟أسبوعاً؟ شهراً؟ سنة؟ أكثر من ذلك؟وإلى أي مدى يبلغ هذا الأذى بالمغتصبة؟ هل يبلغ بها إلى حد الكآبة ؟إلى حد الحزن؟ إلى حد العزلة والانطواء؟ إلى حد التفكير في الانتحار والإقدام عليه؟جاء في دراسة نشرت في مجلة "محفوظات الطب النفسي العام " أن النساء اللواتي تعرضن إلى اعتداءات جنسية قبل سن السادسة عشرة هن أكثر ميلا" إلى الانتحار من بقية النساء. ولاحظت الدراسة التي أعدها باحثو المركز الطبي في جامعة "ديوك " في الشمالية"، وشملت ٢٩١٨ امرأة تعرضن لاعتداءات جنسية في شبابهن المبكر، أن ١٤,٩في المائة منهن حاولن الانتحار، بينما تتدنى هذه النسبة إلى ١,٤ في المائة عند من لم يتعرضن لمثل هذه التجربة. ويؤكد "جوناثان ديفيدسون " الباحث في مركز علم النفس والسلوك أن

---

[١] الخليج العدد ٨١٤٣ ، ٢٠٠١/٩/٤م

[٢] كتيب : كيف تعامل خدمك؟ أم عبد الله بنت خالد ص ٤٠

هناك علاقة واضحة بين محاولات الانتحار والتعرض لاعتداءات جنسية في سن مبكرة. هل رأيتم كيف أن من حاولن الانتحار ممن تعرضن لاعتداءات جنسية هن عشرة أضعاف من لم يتعرضن لهذا الاعتداء؟!ألا يشير هذا إلى أن جريمة الاغتصاب تحفر في أعماق نفس المرأة أخاديد ألم لا يمحوها مرور الزمن؟!! قد يحاول بعض المماحكين أن يفسر جريمة الاغتصاب بأنها نتيجة كبت جنسي،ومن ثم فهو يدعو إلى مزيد من التحلل والإباحية للتخفيف من هذا الكبت المسبب للاغتصاب.وهذه دعوى باطلة؛ لأن المجتمع الغربي، الذي تتزايد فيه جرائم الاغتصاب، بلغ درجة من التحلل والإباحية لم يبلغها مجتمع آخر.كما أن المجتمعات المسلمة، رغم عدم تمسكها التام بالإسلام، تندر فيها جرائم الاغتصاب مع قلة التحلل والإباحية.وهذا ما أكدته الدراسات، ومنها دراسة للباحثة "بيغي ربفزساندي " التي وصلت إلى أن الاغتصاب استجابة لتنظيم اجتماعي معين لا حاجة بيولوجية. ووجدت من مقارنة معلومات عن ١٥٦ مجتمعاً، أن السلوك الجنسي عند الإنسان يتخذ صوراً ثقافية معينة، حتى ولو كان حاجة جنسية.نصف المجتمعات، التي تناولتها الدراسة المذكورة، لا أثر فيها للاغتصاب، أو أنه نادر فيها، في حين أن النصف الآخر منقسم بين اعتبار الاغتصاب تدبيراً اجتماعياً لتهديد المرأة أو معاقبتها وبين اعتباره ظاهرة ولو أنه محدود.لم يكن للاغتصاب أثر في ٤٧% من هذه المجتمعات، ومحدود في ٣٦% منها، وقائم فعلاً في ١٧% منها. [١]

---

[١] نقلا عن كتاب إنهم يتفرجون على اغتصابها لمحمد رشيد العويد الاغتصاب. ألم لا يمحوه الزمن، نقلا عن موقع العانس

ـــ معظم حالات الاغتصاب التي مرت بنا وصرحت صاحباتها بالمغتصبين لهن نجدهم إما أن يكونوا من الخدم ويمكن أن تشارك في الجريمة خادمة كما في القصة رقم : ١٠

أو أن يكون المغتصبون من الأقارب عدا القصة رقم : ٨ والتي كان صاحبها ابن زوجة أبي المغتصبة.

ـــ حوادث الاغتصاب لا تنسى بل تكون محفورة في ذاكرة الفتاة.

ـــ تشتط المغتصبة في مواصفات الزوج وتجعلها شبه خيالية حتى لا يوافق عليها أحد فستر نفسها بذلك. كما في القصة رقم: ١

ـــ أكثر حالات الاغتصاب حدثت في حالة طلاق الوالدين ووجود البنت بعيدة عن الأم أنظر قصة رقم : ٢ وقصة رقم : ٤ وقصة رقم : ٥ وقصة رقم : ٦ وقصة رقم : ٨

ـــ الغفلة عن الأطفال وتركهم للخدم في البيوت والقول أن هؤلاء الخدم أمناء هذا قول ليس صحيحا فالخدم غالبا عزاب وفيهم حقد لفقرهم وحب للانتقام ممن يعلمون معهم لظلم كثير من أصحاب العمل لهم والواحد منهم إن وجد شيئا غفلت عنه العيون اختلسه وإن وجد عرضا نام عنه حارسه انتهكه. انظر القصة رقم : ٢ وقصة رقم : ٤

ـــ القول بأن هؤلاء أطفال صغار دون البلوغ ولا يعرفون شيئا عن أمور النساء عجز وتفريط فالحضارة لم تترك جاهلا في مثل الأمور ولا طفلا صغيرا كما أنه يجب حفظ الأولاد والبنات من ذئاب الأقارب الذين لا خلاق لهم ولا أخلاق عندهم. قصة رقم : ٣

ـــ كثير من المغتصبات من غوافل النساء اللاتي لا تزن إحداهن بريبة ولا يعرفن الفاحشة ولا عواقبها فإحداهن لا تعرف هل الاغتصاب يذهب البكارة أم لا انظر القصة رقم : ٣

ـــ قلة التجربة وضيق الأفق سمة عند مغتصبة ذكرت أنها ستتزوج وستخبر زوجها بحقيقة الأمر فإن قبل فبها ونعمت وإن رفض ففي ستين انظر قصة رقم : ١

أظن أن هذا الكلام لا يصدر عن عاقل يعرف طبيعة الشعوب العربية.

ـــ على الآباء فتح صدورهم لبناتهم وجلوسهم معهن وخلق روابط صلة قوية بينهم وبينهن، فقد يكون للبنت ما تود أن تهمس به لأبيه من مضايقة زيد أو عمرو لها فإخبارها لوالدها يوقفه عند حده قبل أن يقع المحذور.

ـــ على الآباء وأولياء أمور الفتيات معرفة أسباب عزوف البنت عن الزواج وتقصي الأمر فإن كان قد حدث ما يكره عليهم ملافاة الأمر وتدارك الحال ومعالجة ورتق غشاء البكارة وتزويج الفتاة تزويج الأبكار وكتمان الأمر وإذا كشف أمر بكارة الفتاة فيمكن التعريض بأنها قد ذهبت بحادث وأن البكارة يذهبها المرض والحيض والوثبة.

obeikandl.com